

## الفصل الخامس

### المنابر ومطعم الطير والمطرية والبساتين والضواحي ورياض الآثار

#### أولاً: المناظر

كانت المناظر من المنزهات الجميلة في العصر المملوكي ، ومن هذه المناظر ما استخدم استخداماً عاماً مثل مناظر الكباش ومنظرة التاج والخمس وجوه ، بالإضافة للكثير جداً من المناظر الخاصة الملحقة بالقصور والدور والبساتين الخاصة .

وإذا تكلمنا عن أصل فكرة المناظر نرى أنها قد استخدمت أولاً في الأغراض الحربية ، وقد اطلق عليها أيضاً المراقب والطلّاع ، وهذه المناظر كانت عبارة عن أبراج حراسة حربية مبنية في الأماكن العالية المشرفة على البحر ابتغاء رؤية المراكب المعادية قبل اقترابها من الساحل ، والمناظر في نفس الوقت وسيلة اتصال عن طريق إيقاد النيران بأعلامها شأنها في ذلك شأن الفئارات بالنسبة للملاحة البحرية .<sup>(١)</sup>

كما شاع لفظ المناظر أيضاً في مصر والشام والعراق في الاصطلاح المدني مثل المناظر التي كانت تملأ أبواب بغداد في منتصف القرن الثاني الهجري والمناظر الفاطمية في القرن الرابع الهجري ، ولا يزال اللفظ مستعملاً في ريفنا المصري فالمناظر (بالضاد) هي الحجرات التي تتصل بالخارج وتشرف على الشارع من الدور الأرضي .<sup>(٢)</sup>

كما ذكر "ياقوت الحموي" ان المنظرة عبارة عن موضع مشرف ينظر منه .<sup>(٣)</sup>

وقد أقام الفاطميون بمصر العديد من المناظر كانت بمثابة منزهات لهم وأماكن لإقامة الاحتفالات والمناسبات العديدة ، وقد أندثرت تلك المناظر بانتهاء دولتهم ولكن الأماكن التي كانت تحويها استمرت مواضع هامة للمنزه في العصرين المملوكي والعثماني ، وقد أعيد بناء واحدة منها في العصر المملوكي هي منظرة الخمس وجوه .

وتلك المناظر ما هي الا تصور بعضها صغير الحجم والمساحة وبعضها الآخر كبير استخدمت للمنزه والاحتفالات ، وكانت تقع في مواقع هامة مميزة مثل الأماكن الخلوية بضواحي القاهرة وسط البساتين

(١) محمد عبدالهادي شعيرة ، "من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني الهجري" بحث في كتاب دراسات في الآثار الاسلامية ص ١٢ .

(٢) نفسه ص ١١ .

(٣) معجم البلدان ج ٥ ص ٢١٢ .

والمزدرعات مثل مناظر البعل والتاج والخمس وجوه وقبة الهواء ، كما كانت المناظر تقام على ضفاف النيل والخلجان والبرك مثل مناظر اللؤلؤة والغزالة ودار الذهب على الخليج ومناظر الدكة والمقس والصناعة ودار الملك ومنازل العز والهودج على النيل ومنظرة بركة الحبش ، وأيضاً كانت المناظر تقام على هضاب استراتيجية عالية مثل الرصد والكبش حيث أقام الفاطميون العديد منها ، كما أقاموا المناظر بجوار أماكن دفاعية هامة مثل منظرة باب الفتوح حيث كان الخلفاء الفاطميون يستعرضون الجيوش الخارجة للغزو ، كما أقيمت المناظر فى أماكن دينية هامة مثل منظرة الجامع الأزهر حيث كان يجرى الاحتفال بليالى الوقود . (١)

وقد استعمل فى بناء المناظر الأحجار والآجر والأخشاب الجيدة وشبائك النحاس والحديد ، كما تميزت بأنها كانت لها واجهات عديدة خالية ، وكانت حسنة وعالية البنيان ، كما كانت هناك مناظر عبارة عن أكشاك وجواسق خشبية مدهونة فيها طاقات تشرف على الخضرة والماء مثل منظرة بركة الحبش .

وقد جهزت المناظر بأفخر المفروشات والأثاث والمتاع حتى تستعمل على مدار العام ، كما كانت على أكمل وجه من الزخرفة والزينة والبهاء .

هذا ويرجع للوزير الفاطمى " الأفضل بن أمير الجيوش " بناء العديد من تلك المناظر .

وقد شهدت المناظر والنواحي التى حولها أيام نزهاة واحتفالات كبيرة لخاصة وعامة أهل القاهرة والضواحي ، واستطاع الخلفاء الفاطميون أن يستميلوا الناس لهم ولذهبهم من خلال تلك المهرجانات والأعياد والمناسبات التى شهدت تلك المناظر العديد منها . (٢)

أما عن المناظر الكبيرة التى كانت موجودة زمن سلاطين المماليك فهى مناظر الكبش ومنظرة الخمس وجوه .

## مناظر الكبش على جبل يشكر

تقع مناظر الكبش على جبل يشكر ، وجبل يشكر - فى الواقع - هضبة وليس جبلا ، وهذه الهضبة هى التى بنيت عليها مدينة القطائع على يد أحمد بن طولون والتى بقى منها جامع كبير (٣) ، وتلك الهضبة تتوسط المسافة بين القاهرة ومصر الفسطاط ، وقد سميت بهضبة يشكر نسبة الى أول

(١) عن هذه المناظر والاحتفالات بها انظر بالتفصيل :

المقريزى ، الخطط ج ١ ص ٤٦٥ - ٤٩٠ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ٤ سنة ١٩٨١م ، ص ٦٣٤ .

(٣) عن مدينة القطائع بالتفصيل انظر : - محمود الحسينى ، التطور العمرانى لعواصم مصر الاسلامية (دكتوراه) .

قبيلة عربية اختطت بها مساكنها عند الفتح الاسلامى لمصر وهى قبيلة يشكر بن جديله بن لحم<sup>(١)</sup> . وكانت هذه الهضبة تشرف من جهتها الشمالية على بركة الفيلى ، ومن جهتها الغربية على بركة قارون ، ويتضح لنا مما ذكره "المقريزى" أن الجزء الشمالى الغربى للهضبة عليه الكيش وأن الجزء الجنوبى يسمى الشرف ، وكان هذا الشرف مشرف من غربية على جهة الخليج الكبير وهو يقع بين كوم الجارح وخط الجامع الطولونى<sup>(٢)</sup> ، وهو أحد هضاب ثلاثة تسمى كل منها باسم الشرف أحدهما الذى بنيت عليه قلعة الجبل والآخر الذى يطلق عليه الرصد وهو يمثل الجانب الغربى للقرافة الكبرى جنوبى مدينة القسطنطينية<sup>(٣)</sup> .

### موقع مناظر الكيش وتاريخ انشائها

قال "المقريزى" عن موقعها وتاريخ انشائها : - " هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التى تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيلى وبركة قارون ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة" <sup>(٤)</sup> .

وقد حدد الأستاذ "محمد رمزى" مكانها بقوله " إنها فى المنطقة التى تعرف بقلعة الكيش وتشرف من بحريها على شارع مراسينا ومنتهى الحوض المرصود ومن غربيها على حوش أيوب بك والبالغلة وتنتهى من قبلى إلى درب الساقية وسكة المناظر ومن الشرق الى حارة النيافة بقسم السيدة زينب بالقاهرة" <sup>(٥)</sup> .

(١) المقريزى ، الخطط ج١ ص ١٢٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، ج٢ ص ١٣٣ .

(٣) الخطط ج١ ص ١٢٥ .

(٤) الخطط ج٢ ص ١٣٣ .

\* وقد ذكر المقريزى موقعها فى عدة مواضع اخرى ، فقال عندما تكلم عن ساحل النيل بمدينة مصر : - " وبآخر

الحمراء القصى الكيش وجبل يشكر وكان الكيش يشرف على النيل من غريبه " . الخطط ج١ ص ٣٤٤ .

كما ذكر موقعها فى كلامه عن الأمير سلاى فقال " كان سلاى صديقا للجاولى شديد المحبة له من قديم حتى ان كل منهما عمر مدرسته على جبل يشكر بجوار مناظر الكيش مجاورة للمدرسة الأخر وعمل لنفسه مدفنا بجناه مدفن الآخر " السلوك ج٢ ص ٢٤ .

كما ذكر موضعها عند كلامه عن المدرسة الجاولية فقال " هذه المدرسة بجوار الكيش فيما بين القاهرة ومصر " الخطط ج٢ ص ٣٩٨ .

وفى كلامه عن الكيش قال " هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غريه ثم لما اختط المسلمون مدينة القسطنطينية بعد فتح أرض مصر صار الكيش من جملة الحراء القصى وسى الكيش " الخطط ج١ ص ١٢٥ .

(٥) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم ج٩ ص ١٨٩ .

وقد ذكر "المقریزی" أن هذه المناظر وقت أنشائها كانت تشرف مباشرة على بركة الفيل من ناحية ومن ناحية أخرى على بركة قارون " وكان حينئذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى بر الخليج الغربى من قنطرة السباع إلى المقس سوى البساتين وكانت الأرض التى من صليبة جامع ابن طولون إلى باب زويلة بساتين وكذلك الأرض التى من قناطر السباع إلى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها إلا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الأعظم وبر الجيزة فكانت من أجل متزهات مصر " (١).

وفى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون أمر بهدمها فى سنة ٧٢٣هـ وأعاد بناءها بناء آخر وأجرى الماء إليها وجدد بها عدة مواضع وزاد فى سعتها وأنشأ بها اصطبلًا تربط فيه الخيول ، وهذه المناظر التى بناها الناصر محمد عبارة عن سبع قاعات بناها لأجل بناته ينزلون فيها للفرجة على ركوب السلطان للميدان الناصرى الكبير على النيل بأرض الخشاب (٢).

واستمرت مناظر الكباش قائمة حتى هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٧٧ - ٧٧٨هـ) لما غضب على الأمير استدمر الذى كان ساكنًا بها وقبض عليه ، وفى سنة ٧٩٥ هـ حكر الناس أرض الكباش وبنوا عليها بيوتهم واصطبلاتهم (٣).

## سكان وضيوف مناظر الكباش

اتخذت مناظر الكباش متزهًا ملكيًا ، وقد اتخذت فترة دار سكن للخلفاء العباسيين وفترة أخرى لسكن كبار الأمراء فى دولة المماليك ، وكانت كذلك دار ضيافة ينزل بها ضيوف السلطنة والرسالة والقصد وترتب لهم أمور ضيافتهم من مأكلا ومشرب وملبس ونفقات .

وكان أول من سكن بها من الخلفاء العباسيين الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الثانى أول خليفة عباسى بمصر حينما أحيا الظاهر بيبرس الخلافة فى سنة ٦٦١هـ بعد سقوطها ببغداد سنة

(١) المخطط جـ ٢ ص ١٣٣ .

(٢) المقریزی ، المخطط جـ ٢ ص ١٣٤ ، السلوك جـ ٢ ص ٥٤٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ١٨٩ .

(٣) تاريخ ابن قاضى شهاب ص ٤٧٣ ، المقریزی ، السلوك جـ ٣ ص ٧٨٧ ، القلقشندى ، صحح الاعشى

جـ ٣ ص ٣٦٣ .

٦٥٦هـ<sup>(١)</sup> ، وبالرغم من عودة الخلافة اسمية فقط إلا انها كانت ميزة لدولة المماليك لما للخلافة من تأثير روحى على المسلمين فى كل مكان ، ولما توفى الخليفة الحاكم فى سنة ٧٠١هـ بعد ان استمر فى الخلافة مدة اربعين سنة خلفه ابنه المستكفى بالله وأقام أيضا بمنابر الكيش<sup>(٢)</sup> .

أما كبار الأمراء فى دولة المماليك الذين حلوا محل الخلفاء فى سكن مناظر الكيش بعد انتقالهم للقلعة فأهمهم الأمير صرغتمش فى أيام السلطان الملك الناصر حسن ، وقد عمر صرغتمش الباب ذا البدينين الحجر الذى يوصل إلى المناظر بجانب الكيش بالحدرة<sup>(٣)</sup> وكان هذا الباب موجوداً أيام المقرئى<sup>(٤)</sup> ، ثم سكن مناظر الكيش بعد ذلك الأمير يلبغا المعروف بالخاصكى وظل بها إلى أن قتل فى سنة ٧٦٨هـ فسكنها من بعده الأمير استدمر إلى أن قبض عليه الملك الأشرف شعبان وأمر بهدم الكيش فهدم ثم حكره الناس بعد ذلك وبنوا فيه مساكنهم واصطبلاتهم<sup>(٥)</sup> .

وكانت مناظر الكيش هى المكان الذى يستضاف فيه ملوك حماة الأيوبيين بالشام<sup>(٦)</sup> ، وأول من نزل منهم الملك المنصور وكان ذلك يوم ٦ محرم سنة ٦٧٣ هـ وصحبه أخوه الملك الأفضل نور الدين على بن الملك المظفر وولد الملك المنصور الملك المظفر تقى الدين محمود ، وقد احتفل السلطان الظاهر بيبرس بهم احتفالا كبيرا وأباح لهم ما لم يبحه لأحد من الأمراء والخواص من شرب للخمر وسماع ملاهى كما رتب لهم منتزهات فى النيل والروضة<sup>(٧)</sup> .

(١) بيبرس الدوادار ، التحفة المملوكية ص ١٤٩ ، ١٦٢ ، ابن حبيب ، تذكرة النيه ج١ ص ١٩٥ ، المقرئى ، المخطط ج٢ ص ١٣٣ ، السلوك ج١ ص ٨٢٨ ، ابن ابيك ، كنز الدرر ج٩ ص ٧٩ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص ١٩٥ - ١٩٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ص ٣٢٠ ، السيرطى ، حن الحاضرة ج٢ ص ٦٢ .  
\* وقد ذكر بعض هؤلاء المؤرخين أن السلطان الظاهر بيبرس هو الذى أنزل الخليفة بالكيش بينما ذكر البعض الآخر أن السلطان لاجين هو الذى أنزله .

(٢) توفى المستكفى سنة ٧٤٢هـ ، وقد سبق أن أبعدته الناصر محمد مدة خمسة أشهر من الكيش وجعله بالقلعة سنة ٧٣٦هـ وذلك لغضبه عليه .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ١١٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ص ١٧٢ .

(٣) نلاحظ ان هذه الحدرة التى كان عندها باب يؤدى إلى مناظر الكيش هى الدحديرة الموجودة إلى اليوم غرب جامع صرغتمش وجامع أبى طولون وتسمى الآن شارع الدحديرة .

(٤) المخطط ج٢ ص ١٣٤ .

(٥) نفسه . تاريخ ابن قاضى شهبة ص ٤٧٣ .

(٦) أقطع صلاح الدين حماه لابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر وقيمت بيد أولاده حتى قيام الدولة المملوكية ، كانوا يخضعون أحيانا لسلطة السار وأحيانا للمماليك حتى انتصر المماليك فخضعوا لهم وحكموا باسمهم وظلت بأيديهم حتى استولى المماليك عليها .

انظر ابن عبدالظاهر ، تشرىف الايام والمصور ص ٢٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج٧ ص ١٦٦ ، هامش السلوك ج١ ص ٦١٤ .

(٧) ابن ابيك ، كنز الدرر ج٩ ص ١٧٦ ، المقرئى ، المخطط ج٢ ص ١٣٤ .

كما حضر الملك المنصور إلى مصر مرة ثانية ونزل بمناظر الكيش يوم ٨ جمادى الأولى سنة ٦٧٥هـ مهنتاً بزواج الملك السعيد بن السلطان بيبرس وقدم هدايا ثمينة . (١) وكذلك حضر يوم ٢٥ شوال سنة ٦٧٨هـ أيام السلطان قلاوون (٢) كما حضر في مستهل المحرم سنة ٦٨٢هـ فركب السلطان برقوق لتلقيه وأنزله بمناظر الكيش على عادته وأكرم وفادته وكل من معه (٣) .

وظل ملوك حلب الأيوبيين يأتون إلى مصر ويقيمون أثناء ذلك بالكيش حتى استولى المماليك على حلب وأصبحت تحكم بواسطة ولاية من أمراء المماليك ، ومن الملوك الأيوبيين الذين نزلوا بمناظر الكيش الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل وكان قد نزل سنة ٧١٦هـ (٤) .

وكانت مناظر الكيش من أهم الأماكن التي يستضاف فيها الرسل والضيوف . ومن الرسل الذين نزلوا بها صاحب المؤرخ كمال الدين عمر بن العديم (ت ٦٦٠هـ) رسول الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب النجدة من السلطان قطز لقتال التار ، وكان ذلك في ذى القعدة سنة ٦٥٧هـ (٥) .

ونزل بمناظر الكيش أيضا رسل الملك طقطاي ملك القسجاق الذين وصلوا إلى مصر أول ربيع الأول سنة ٧٠٤هـ ، وقد أكرمهم السلطان الناصر محمد وأجرى لهم الرواتب وقدموا للسلطان هداياهم ، وقد جاءوا بكتاب يعرضون تحالفهم مع سلطان مصر ضد أعدائهم ورد عليهم السلطان بهدية (٦) .

وفي سنة ٧١٣هـ جهز طقطاي سفارة كبيرة إلى مصر على رأسها رسول اسمه بكلمش بن قنجويغا وكان قريبا للملك طقطاي وكان جليل القدر ، وقد أحسن السلطان الناصر محمد استقباله ، وكان بصحبته ثلاثمائة نفر منهم مماليك وجواري قدموا هدية للسلطان ، وقد أنزلوا بمناظر الكيش ، وكان لهذه السفارات تأثير كبير في تقوية أواصر الصداقة بين الملكين . (٧)

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٦٦ .

(٢) ابن عبدالظاهر ، تشريف الأيام ص ٥٨ (عن ابن الفرات) ، المقرئى ، السلوك ج١ ص ٦٦٨ .

(٣) بيبرس المنصورى ، زبدة الفكرة ص ٢١٥ ، ابن عبدالظاهر ، تشريف الأيام ص ٢٤ ، المقرئى ، السلوك ج١ ص ٧١٢ .

(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة ج١ ص ٣٧١ .

(٥) ابن تغرى ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ٧٢ .

(٦) المقرئى ، السلوك ج١ ص ٨٠٢ ، ج٢ ص ٧ .

(٧) ابن ابيك ، كنز الدرر ج٩ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

وفى يوم ٢٦ ذى الحجة من نفس السنة (٧١٣هـ) وصلت سفارة من الملك يوزيك خان الذى جلس موضع الملك طقطاي وكانوا نحو مائة وأربعة وسبعين نفرا فأنزلوهم بمنظر الكيش ونزل صحبتهم رسل الملك الأشكرى<sup>(١)</sup> والمقصود به الملك البيزنطى .

كذلك كانت مناظر الكيش هى المكان المعد والمهيأ لاستقبال وإسكان أى عدد من الناس دون حدوث أى ارتباك ، ومن أمثلة ذلك انه فى سنة ٦٩٣هـ أنزل بمنظر الكيش نحو ثلاثمائة من ممالك الأشرف خليل بن قلاوون عندما قبض عليهم بعد قتل الملك الأشرف<sup>(٢)</sup> .

### زواج ابنة الملك الناصر محمد بالكيش

شهدت مناظر الكيش حفل زفاف ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ولد الأمير ارغون نائب السلطنة بمصر بعدما جهزها جهازاً عظيماً ندر أن يكون له مثال<sup>(٣)</sup> .

### منظرة الخمس وجوه

فى العصر الفاطمى كانت الأراضى شمال القاهرة عبارة عن بساتين وحقول متصلة ، وأقام الخلفاء الوزراء الفاطميون فى تلك البساتين والحقول أربع مناظر متجاورة متتابعة ترتبها من الجنوب للشمال كالتالى : ١- منظرة البعل ٢- منظرة الخمس وجوه ٣- قبة الهواء ٤- منظرة التاج<sup>(٤)</sup> .

(١) المفضل بن أبى الفضائل ، النهج السديد ج٢٠ ص ٢٣٨ .

(٢) ابن عبدالظاهر ، تشرىف الايام ص ٢٨١ ، بيرس المنصورى ، التحفة الملوكية ص ١٤١ .

(٣) قال المقيزى \* .. جهزها جهازاً عظيماً منه بشخاناه وداير بيت وستارات طرز ذلك بشماتين آلف متقال ذهب مصرى سوى ما فيه من الحرير وأجره الصناع وعمل سائر الأواني من ذهب وفضة فبلغت زنة الأواني المذكورة ما ينيف على عشرة الآف متقال من الذهب وتناهى فى هذا الجهاز وبالغ فى الانفاق عليه حتى خرج عن الحد فى الكثرة فإنها كانت أول بناته ولما نصب جهازها بالكيش نزل من قلعة الجبل وصعد الى الكيش وعابته ورتبه بنفسه ، واهتم فى عمل العرس اهتماماً ملوكياً وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ونقط الامراء الأغاني على مراتبهم من أربعمائة دينار كل أمير إلى ماتى دينار سوى الشق الحرير ، واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ أنه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل لكل جوقة من جوق الأغاني اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق الأغاني التى قسم عليهم ثمان جوق من أغاني القاهرة سوى جوق الأغاني السلطانية وأغاني الامراء وعدتهن عشرون جوقة لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل ولما انقضت أيام العرس أتعم السلطان لكل امرأة من نساء الامراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء والمكاتب وغيرهم فكان مهما عظيماً تجاوز المصروف فيه حد الكثرة \* الخطط ج٢ ص ١٣٤ .

(٤) استنطعت ترتيب مواقع تلك البساتين وما تضمه من مناظر من خلال ما ذكره المقيزى عنها ، فقد ذكر عن "منظرة البعل" أنها \* كانت فى بستان أتبق يعرف بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وموضع هذا البستان =

وتلك البساتين والحقول وما تضم من مناظر يمثل موضعها الآن أجزاء متتالية مرتبة من الجنوب للشمال من أحياء غمره فالشرابية فمهمشا .

ويرجع انشاء منظره الخمس وجوه للأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش<sup>(١)</sup> وبقى من آثارها الفاطمية بناء رآه المقرئى<sup>(٢)</sup> .

وقد سميت المنظره بهذا الاسم لأنها أقيمت على بئر متسعة كان بها خمس أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة المحيط بها ، وقد أطلق عليها العامة فى العصر المملوكى السبع وجوه<sup>(٣)</sup> ربما تيمنا بالرقم سبعة الذى له اعتبار كبير فى التراث الشعبى .

ويذكر "ابن تغرى بردى" أن بعض كتاب الخطط اعتقد خطأ أن منظره التاج هى منظره الخمس

= إلى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالة فى كوم الريش مقابل قناطر الأوز وقد خرجت المنظره وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها فى حال عمارتها .. "الخطط ج١ ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

وقال أيضا فى "ذكر أرض البعل والتاج" . . . وأرض البعل هذه بجانب الخليج تنصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظره انشاء الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا وإلى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه . . وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الأوز التى على الخليج يخرج الناس لستزته هناك أيام النبل وأيام الربيع وكذلك أرض التاج فإنها اليوم قد زالت منها الأشجار واستقرت فى أراضى المنية الخراجية .. "الخطط ج٢ ص ١٢٩ .

وقال عن "منظره التاج" \* هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للترهه بناها الأفضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية السريج . قال ابن عبدالظاهر \* وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التى هى باقية "الخطط ج١ ص ٤٨١ .

وقال عن "قبة الهواء" \* وكان من أحسن متزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهيج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف ويركب إليها الخليفة فى أيام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء "الخطط ج١ ص ٤٨٧ .

\* وقد ذكر المرحوم على باشا مبارك تلك المناظر وإن لم يكن قد راعى الترتيب الجغرافى لها ، وذكر أن نلال أحجارها ظلت موجودة حتى أيامه ، انظر : - الخطط التوفيقية ج١ ص ٥٥ ، ج٢ ص ٦٥ - ٦٦ .

\* وكذلك ذكرها المرحوم محمد رمزى باعتبار أنها كانت معظم الأوقات تحسب من ضمن نواحى وضواحي القاهرة الواجب عليها الخراج . انظر : - القاموس الجغرافى ق١ ص ١٥ ، ١٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، تعليقه على النجوم الزاهرة ج١ ص ١٢٤ . ، مذكرة بيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها .

(١) الخطط ج٢ ص ٤٨١ . ، اتعاظ الحنفا ج٣ ص ٧٤ .

(٢) الخطط ج٢ ص ٤٨١ .

(٣) نفسه . ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج٥ ص ١٩٢ .

وجوه ولكنه يصحح ذلك الخطأ ويذكر أن التاج كان بالقرب من الخمس وجوه على بعد مقدار رميتي نشاب وكان كوما في أيامه إلا ان اسم التاج والخمس وجوه صار علما على تلك المنطقة (١) .  
وموقع منظره الخمس وجوه الآن في حى الشرايية فى المنطقة المحصورة بين شارع الالايلى وشارع الشرايية .

## عمارة المنظره فى العصر المملوكى

أعاد بناء منظره الخمس وجوه السلطان الملك المؤيد شيخ الذى كان مجبا للمتزهات والمفترجات مقضيا أغلب أوقاته بها ، وكان دائم الذهاب الى تلك المنطقة لذا أمر بتجديدها وتعميرها وترك التاج خرابا ، وكان الأبتداء فيها فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٣هـ (٢) ، وظل المؤيد يتابع بنائها فذهب عدة مرات حتى اكتملت فى شعبان سنة ٨٢٣هـ برواية ابن تغرى بردى (٣) أو فى شهر شوال برواية المقريزى (٤) ، وكانت قد تكلفت أكثر من عشرين ألف دينار .

وقد أراد المؤيد ان يعمر المنطقة حولها وأن يقيم بستانا كبيرا ، وطلب من أمراء وأعيان دولته أن يبنوا حولها بيوتا يتزلون بها إذا توجهوا فى ركابة السلطانى فشرع بعضهم فعلا فى رضى الأساس واختط بعضهم الأرض ولكن القدر لم يمهل المؤيد وقتا ليتم ويرى ما كان يرجوه ، وكان غرض المؤيد لإنشاء المنظره والبستان أن يجعل ذلك عوضا عن قصور سرياقوس ليسرح إليها مثلما كان السلاطين السابقون يسرحون لسرياقوس . (٥)

وفى ربيع الآخر سنة ٨٢٥هـ أيام السلطان الملك الأشرف برسباى (٨٢٥ - ٨٤١هـ) وقع الشروع فى هدم المنظره ولكن ذلك الأمر لم يتم فبقى بناؤها مشعما (٦) إلا أنها رمت عقب ذلك فأسكنها

(١) المنهل الصافى ج٥ ص ١٩٢ .

(٢) المقريزى ، الخطط ج١ ص ٤٨١ ، السلوك ج٤ ص ٥٢٦ ، ابن حجر ، انباء الغمر ج٣ ص ٢١٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج٤ ص ٩٤ ، العيىنى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ص ١٠٨ ، نفس المصدر (بدون ناشر) ص ٣٨١ ، الصيرفى ، زهرة النفوس ج٢ ص ٤٧٣ ، ابن اياس ، بلانغ الزهور ج٢ ص ٤٣ .

(٣) النجوم الزهرة ج٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) السلوك ج٤ ص ٥٣٨ .

(٥) السخاوى ، تحفة الاحباب ص ٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج٤ ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٦) المقريزى ، السلوك ج٤ ص ٦١٠ .

برسباى للشيخ حيدر الرفاعى (١) وأخوته ، وأنعم عليه برزقه عشرين فدانا بأراضى تلك الناحية وجعلت زاوية للصوفية ، وعرف الشيخ حيدر منذ أن سكنها بشيخ التاج والسبع وجوه (٢) .

واستمرت المنطرة قائمة متنزها كبيرا يفد عليها الناس للسفرة ولزيارة الشيخ الرفاعى ، وكان المؤرخ "ابن تغرى بردى" دائم النزول بها والمبيت بها أياما عديدة وقضى بها أوقاتا طيبة فى ضيافة الشيخ حيدر . (٣)

ولكن فى سلطنة الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) تم هدم المنطرة حيث أمر جقمق بهدمها حين أوحى إليه شخص يسمى محمد بن على بن اينال بأن هذا المكان يقع فيه الكثير من الفواحش من المتزهين والمتفرجين ، وبأشر ذلك الرجل هدم المنطرة فى شوال سنة ٨٤٨هـ وأخذ جميع ما كان هناك من الأخشاب والشبايك النحاس والحجر والأجر ودام أشهر فى هدمها وباع من أنقاضها الكثير . (٤)

وصعب ذلك الهدم على الناس قاطبة ، وذكر المؤرخ "ابن تغرى بردى" أنه لاصحة لتلك الادعاءات الباطلة لأن هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأنه قد صار متنزها ذات صفة دينية صوفية منذ إقامة الشيخ حيدر به ، وقد ندم السلطان جقمق على هدم المنطرة بعد أن تبين له كذب ادعاءات ابن اينال هذا ، فأمر بالقبض عليه ، وعضو الشيخ حيدر بأن أسكنه بالقرب من زاوية الشيخ أحمد الرفاعى ثم أنعم عليه بمشيخة قبة النصر . (٥)

## التنزة بالتاج والخمس وجوه

كانت منطقة البعل والتاج كما ذكرت ضواحي تقع شمال القاهرة وكانت تمثل بما تضم من مناظر واحدة من محاسن مصر ومفترجاتها ، وكانت تحوى الكثير من البساتين والحقول ذات المناظر الأخاذة بما تزرع بها من زراعات تسر الناظرين من رؤية هذه الخضرة الكبيرة الممتدة بزراعة نبات القرط

(١) هو الشيخ حيدر بن أحمد بن ابراهيم أبو الحسن الرفاعى الرومى الأصل ، المعجمى المولد والمنشأ ، المصرى الدار والوفاة الحنفى القدوة والسلك ، ولد حوالى سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م ومات سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م ، وكان من أعلام الصوفية ومن أهل العلم والأدب ، والأخلاق الحميدة . انظر : - ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج٥ ص١٨٩ - ١٩٥ .

(٢) نفسه ص١٩٢ .

(٣) المنهل الصافى ج٥ ص١٩١ .

(٤) كان محمد بن على بن اينال هذا يعتريه جنون وخفة عقل وعمل مساوية كثيرة ، وكان يشغل منصب أمير شكار (امير صيد) فى عهد الظاهر جقمق ، ولما هدم المنطرة شكته خوند ابنه المؤيد شيخ فامر جقمق بتسليمه والقبض عليه فهرب فترة ثم ظهر بعد ذلك بمدة ولزم داره . انظر : - ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ج٢ ص٢١٦ - ٢١٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق ١ ص٦١ .

(٥) المنهل الصافى ج٥ ص١٩٤ .

(البرسيم) والكتان والبشنين وما يحيط بها من الأشجار والنخيل . وفى زمن الربيع وفى أيام النيل يتزدهر بها خاصة وعامة أهل القاهرة منذ العصر الفاطمى (١) .

ولما أقام ' المؤيد شيخ ' بناء المنظرة كان كثير التنزه إليها هو وامراته بل إنه سمح لعامة أهل مصر والقاهرة بمصاحبة مونة فى تنزهاته ، وكان الناس يقيمون الخيام للإقامة هناك ، وكان المؤيد يبيت عدة ليالى فى منظرة الخمس وجوه وكانت الناس تتردد إليه لقضاء حوائجهم وللفرجة أيضا (٢) ، وفى ذلك الوقت أقام الأمير جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص عمائر هائلة وسيلا ومكتبا وبستانا وغير ذلك فى التاج (٣) فكثرت تردد الناس الى هناك .

واستمر التاج والخمس وجوه منتزها للسلاطين والناس حتى أن الملك الأشرف برسباى لما ذهب إليه يوم ١١ صفر ٨٢٨هـ أعجبه المكان جدا ولم يكن قد رآه من قبل (٤) وكثر تردد الزوار للمنطقة وخصوصا بعد إقامة الشيخ حيدر الرفاعى بالمنظرة .

هذا وقد شهدت منظرة الخمس وجوه احتفالا كبيرا فى شعبان سنة ٨٤٢هـ وذلك بمناسبة انتهاء قاضى القضاة ' بن حجر العسقلانى ' من تأليف كتابه فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ففضل الاحتفال بذلك المؤلف الجليل بأعلى منظرة الخمس وجوه ، فأقام وليمة حافلة حضرها المقر الناصرى محمد بن السلطان برسباى وأعيان الدولة وأمرائها وقضاها وعلمائها وطلابها وكثير جدا من الناس ، ومدت هناك وليمة حافلة تحوى أطعمة فاخرة ومد سماط فاخرة وحلوى وسكر ، وكان الوقت شتاء والأرض مخضرة بأنواع الزراعات ، وقد اجتمع يومها بالمنظرة وحولها عالم كبير جدا من الرجال ونصب هناك سوق وضربت خيام عديدة فكانت من الأيام المذكورة المشهودة وأنفقت فيها أموال وأنشد الكثير من الشعراء بهذه المناسبة . (٥)

وقد استمرت المنظرة على حالها حتى تم هدمها فى عهد الظاهر جقمق ولكن المنطقة ظلت منتزها هاما طوال العصرين المملوكى والعثمانى .

## ما قيل فى التاج والخمس وجوه :

أفاض الكثير من الشعراء والزجالين فى وصف التاج والخمس وجوه وما يحيط بها من مناظر خلابة . فقال فيها حجة :-

(١) المقرئى ، الخطط ج١ ص ٤٨١ .

(٢) المقرئى ، السلوك ج٤ ص ٥٢٨ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ - ٥٤١ ، ابن تفرى بردى ، النجوم ج٤ ص ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) ابن تفرى بردى ، النجوم ج٤ ص ١٠٣ .

(٤) المقرئى ، السلوك ج١ ص ٦٧٩ ، ابن تفرى بردى ، النجوم ج٤ ص ٢٧١ ، العينى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ص ٢٥٤ ، ابن اياس ، بلدان الزهور ج٢ ص ٩٥ .

(٥) المقرئى ، السلوك ج٤ ص ١١٠٨ ، ابن اياس ، بلدان الزهور ج٢ ص ٢٠٧ .

سبع وجوه لتاج مصر      تقول ما فى الوجود شبيهى  
وعندنا ذو الوجوه يهجى      وأنت تاج بفرد وجهه

وفيه يقول صاحب فخر الدين بن مكنس من موشح :-

والتاج يعلو فوق هام الزهر      والسبعة الأوجه ذات البشر  
وكل وجهة حولها كقصرى      مثل بروج حل فيها بدر

وقد أتى فى كل برج سعد

ولبعضهم :-

محاسن مصر تبدو حين تجلى      بتاج زانه درر وقمرط  
وقد كتب الريح بها سطورا      وأتقن خطها شكل ونقط

وللعقلى :-

الروض من أنهاره وبهاره      فى المصمت الفضى والديباج  
تعلو رعيته ملوك غصونه      هذا ياكليـل وذاك بتاج (١)

## ثانياً : مطعم الطير بالريدانية

ذكر المقريزى أن الريدانية اسم لأرض اطلقت على بستان كبير انشأه ريدان الصقلى أحد خدام الخليفة الفاطمى العزيز بالله الذى كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص بالخليفة الحاكم بأمر الله أن قتله الحاكم فى يوم الثلاثاء ٢٠ ذى الحجة سنة ٣٩٣هـ (٢)

والريدانية كانت تقع فى حدود الصحراء الواقعة فى شمال القاهرة وكان العمران ينتهى إليها لذا فقد أطلق اسم الريدانية على البستان وعلى ما جاوره من الأراضى الرملية الفضاء التى كانت تمتد فى ذلك الوقت من حد باب الحسينية حيث ميدان عبده باشا الآن وبين الصحراء التى فيها الآن ميدان

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) الخطط ج٢ ص ١٣٩ .

روكسى بمصر الجديدة ويؤيد ذلك ما ورد فى كتب المؤرخين وما حدث فى هذه المنطقة من وقائع ومعارك بين الممالىك والعثمانيين ، ويدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى الصغير والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشبة البكرى ومصر الجديدة ، وحتى منتصف هذا القرن كانت أرض الوايلى الصغير أرضا زراعية فى المنطقة الواقعة الآن على جانبى شارع بين الجنائين وشارع أحمد سعيد بالعباسية بالقاهرة .<sup>(١)</sup>

### مطعم الطير :

كان مطعم الطير متزها سلطانيا ، وكان موقعة فريدا حيث يتوسط مكانا بين أرض صحراوية وأرض زراعية وقد بنى الناصر محمد هناك مطبة ، ويمثل موقع مطعم الطير المنطقة التى يتوسطها الآن قبة العادل طومان باى<sup>(٢)</sup> (اثر رقم ٢) الواقعة فى ثكنات الجيش شمال العباسية حيث كانت المسطبة بجوار القبة .

### التنزه والصيد واستقبال الرسل والضيوف عند مطعم الطير :

لما كان موضع مطعم الطير فريدا حيث يتوسط حدود الصحراء والزراعات كانت تلك البيئة تكثر بها الحيوانات والطيور البرية الشاردة ، لذلك حرص سلاطين الممالىك على الذهاب لتلك المنطقة للاستمتاع بجوها النقى وخصوصا وأنهم كانوا يذهبون إليها فى بداية موسم الشتاء غالبا للصيد والرياضة والاستجمام فى ربوعها ، وكانوا يخرجون فى مواكب الى هناك مجهزة باللازم ، ويصحبون معهم أرباب الوظائف المتعلقة بالصيد على رأسهم أمير شكار والبازدارية والحيوانات المدربة للصيد مثل الصقور والحيوانات والطيور التى يراد اصطيادها مثل الكراكى حيث يطلقها أمير شكار ويطلق وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها<sup>(٣)</sup> حتى يتسلى السلطان برؤية هذا المنظر<sup>(٤)</sup> .

وكانت تلك الأيام بمثابة مهرجانات وأعياد شعبية إذ تزين القاهرة فى طريق الذهاب والعودة ويمتلا طريق الموكب من القلعة حتى الريدانية بالمفرجين .

ولما كان موضع مطعم الطير يمثل البوابة الشمالية للقاهرة أيضا لنا حرص السلاطين على استقبال

(١) محمد رمزى ، تعليقاته على النجوم الزاهرة ج٩ ص٩ ، ج١٠ ص ١٧١ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٤ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ج٥ ص ٤٢٢ .

(٣) عن مواكب السرحات والصيد والاسفار انظر :- عبدالنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين الممالىك ج٢ ص ١٣٣ - ١٢٧ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ج٩ ص ٢٩ ، حوادث الدهور ج٣ ص ٤١٦ ، ٤٨٤ .

ضيوفهم هناك بأنفسهم أو بواسطة مندوبيين عنهم .

ومن السلاطين الذين داوموا على التنزه بمطعم الطير الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١)</sup> وابنه الصالح اسماعيل (٧٤٣ - ٧٤٦هـ)<sup>(٢)</sup> ، وكذلك كان الظاهر برقوق كثير الذهب لمطعم الطير منذ كان أمير حتى تسلطن<sup>(٣)</sup> ، وعند مطعم الطير استقبل الظاهر برقوق ضيفه الكبير السلطان أحمد بن أويس<sup>(٤)</sup> سلطان العراق وفارس طالبا النجدة من سلطان مصر للوقوف في وجه تيمور لئلا ، وقد وصل إلى مطعم الطير في يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ وأجرى له مراسم استقبال رسمية كالتى تجرى في هذه الأيام حيث قام حاجب الحاجب بتقديم أمراء الدولة وأعيانها للسلطان أحمد وسلموا عليه ، ثم استقبله السلطان برقوق وعانقة وطيب خاطره ووعدته بمساعدته في استرداد كرسي مملكته من تيمور لئلا ، واستراح برقوق وضييفه فترة على المسطبة وخلع برقوق عليه قباء حرير بنفسجى بطراز عريض زرکش وقدم له فرسا من أفراسه بسرج ذهب وكنبوش زرکش وسلسلة ذهب ، وركبا وسارا وحولهما الأمراء والمماليك مرتبين حسب منازلهم ووظائفهم فى وسط مهرجان شعبى كبير إذ خرج الناس كلهم إلى الريدانية والصحراء التى امتلأت بهم مما أدهش وتعجب له السلطان أحمد من كثرة المتفرجين وواصل الموكب الى القلعة .<sup>(٥)</sup>

ومن السلاطين الذين كانوا ينزلون لمطعم الطير للصيد والتنزه السلطان المؤيد شيخ الذى اهتم بذلك اهتماما كبيرا<sup>(٦)</sup> .

وكان السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ - ٨٤١هـ) يداوم على النزول لمطعم الطير وغالبا فى بداية فصل الشتاء حيث يرتدى السلطان والأمراء الملابس الصوفية المعدة لذلك<sup>(٧)</sup> .

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٩ . (٢) المقرئى ، السلوك ج٢ ص ٦٧٩ .

(٣) نفسه ج٣ ص ٣٦٥ ، ٧٢٦ ، ٧٨٩ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩ ج١ ص ٢٣٥ .

(٤) هو السلطان غياث الدين أحمد بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبما بن ايلكان صاحب بغداد وتبريز وغيرها من بلاد العراق ، ملك بعد أخيه فى سنة ٧٨٤هـ واستمر ملكا على العراق حتى سنة ٧٩٥هـ حيث خرج فارا من تيمور لئلا استولى على بغداد ، وقصد مصر معه ٤٠٠ فارس من أصحابه ولما وصل إلى حلب أرسل إليها إلى السلطان بذلك فأمر السلطان برقوق بإكرامه ودعاه للقاهرة ، وظل فى صراع على الحكم بالعراق وفارس حتى قتل سنة ٨١٣هـ وقد وصفه المؤرخون بأنه كان سفاكا للدماء وظالما ، وله بعض الاهتمام بالعلم والأدب .  
أنظر :- ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج١ ص ٢٤٨-٢٥٩ .

(٥) عن هذا الموضوع بالتفصيل أنظر :-

تاريخ ابن قاضى شهبه ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩ ج٢ ص ٣٦٦ ، المقرئى السلوك ج٢

ص ٨٠٠ ، ابن حجر ، انباء العمر ج١ ص ٧٩٦ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان ج١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .

(٦) العيى ، عقد الجمان (بدون ناشر) ص ١٧٤ .

(٧) المقرئى ، السلوك ج٤ ، ص ٦٢٢ .

وكان السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧هـ) يستقبل أمراء الشام عند مطعم الطير ويحتفل بهم احتفالا كبيرا وكذلك كان يستقبل أمراء مكة والحجاز وعلى رأسهم الأمير الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة الذى كان يبالغ فى إكرامه . (١)

وكان السلطان الأشرف ابنال (٨٥٧ - ٨٦٥هـ) ينزل للتنزه والصيد عند مطعم الطير ويعد هناك الاسمطة الحافلة وكانت مواكبة من المواكب الهائلة ويخرج معظم الناس للفرجة . (٢)

ومثل تلك المهرجانات الشعبية تكررت فى أيام السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ - ٨٧٢هـ) . (٣)

وكان السلطان الغورى كثير التردد على مطعم الطير للتنزه والصيد بالإضافة لاستخدام المكان هناك لعمل التجارب على المدافع التى صنعت أيامه وكان أهل القاهرة وظواهرها يخرجون جميعا تلك الأيام للفرجة . (٤)

وفى العصر العثمانى ظل الولاة يذهبون إلى مطعم الطير وخصوصا لمجاورته للمنشآت المعمارية العديدة التى أنشأها السلطان العادل طومان باى سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠١م التى أهمها القبة التى كانوا يبيتون بها أوقاتا عديدة . (٥) وقد عرفت المنطقة منذ ذلك الوقت بالعادية وتمتعت بمكانة مرموقة فى العصر العثمانى حيث كان الولاة العثمانيين ينزلون بها وكانت محطة واستراحة لهم فى ذهابهم وإيابهم ، كما كانت محطة استقبال للمسافرين والعائدين بطريق البر وكانت مركزا تجاريا هاما حيث كان هناك خان يسمى خان العادل يجتمع به المسافرون من قوافل التجارة والحج ، وظلت المنطقة متزها حيث كانت الفرق العثمانية تلعب هناك القبق . (٦)

---

(١) المقرئى ، السلوك ج٤ ص١٢٢٦ ، السخاوى ، الترمذى ص١٥ ، ٧٥ ، ١٨٤ ، العينى ، عقد الجمال (نش الزهراء) ص٦٠١ .

(٢) ابن نغرى بردى ، حوادث الدهور ج٢ ص٢٨٠ .

(٣) نفسه ج٣ ص٤١٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥٣٠ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٤ ص٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٥ ص٤٣٢ .

\* بنى السلطان الملك العادل طومان باى التى تولى السلطنة عدة شهور سنة ٩٠٦هـ تربة بجوار مطعم الطير وهذه التربة كانت تتكون من عدة وحدات معمارية هى القبة التى دُفن بها ومسجد الذى استخدم أيضا كخاناته وسبيل وساقية ومطبخ بالإضافة لوجود خان وعدة منشآت أخرى لم يبق منها سوى هذه القبة الجلييلة (أثر رقم ٢) .  
انظر التفصيل :- محمد حمزه ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير غير منشورة - كلية الآثار - جامعة القاهرة . ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٦) البكرى ، قطف الأزهار (مخطوط) ورقة ١٣٩ .

## ثالثا: المطرية ونواحيها

كانت المطرية ونواحيها من أنزه الأماكن بمصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، وكان التنزه والذهاب إليها وإلى نواحيها، من شعائر السلطنة المملوكية كما كان من شعائر الفاطميين .

وقد كانت المنطقة جدية بمكانتها المرموقة لأن مساحتها الكبيرة الممتدة من حدائق القبة جنوبا حتى عين شمس شمالا كانت عبارة عن بساتين وحقول زراعية ويجرى بأرضها البرك والترع والخلجان وأهمها خليج الزعفران .<sup>(١)</sup> الذى كان منتزها سلطانيا ، إلى جانب شهرتها العالمية بما حوته من مقدسات ورموز مسيحية مثل شجرة مريم<sup>(٢)</sup> وبئر ويستان البلسان وكنيسة العذراء بالإضافة لذلك فإنها محطة واستراحة الزاهيين والعائدين من وإلى الشام وسيناء ، ومكان استقبال للرسول والضيوف .

وقد ذكر الرحالة أن الطريق من القاهرة إلى المطرية كان مليئا بالقصور الفخمة والاستراحات الجميلة على الجانبين التى تمثل دور ضيافة خاصة بكبار الأمراء .<sup>(٣)</sup>

(١) عن خليج الزعفران انظر ما سبق ص ٣١٣ .

(٢) نسبت هذه الشجرة الى مريم العذراء حيث تروى القصص أن العائلة المقدسة لما هربت من حاكم فلسطين الرومانى هيرود ووصلت أون "عين شمس" استراحت تحت ظل هذه الشجرة القديمة المورقة ومن ذلك الوقت عرفت بشجرة مريم ، وتضيف الأسطورة أن الطفل يسوع الناصرى "عيسى عليه السلام" جلس تحت هذه الشجرة وضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من المياه العذبة المنعشة فشربت مريم وطفلها ويوسف التجار وحماتهم حتى ارتنوا ، ثم غسلت العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم ألقت بالمياه المتخلفه على عصا يوسف التى كان قد غرسها فى الأرض فتحولت إلى شجرة البلسم المعروفة أيضا باسم البلسان ، ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة ذكية ، ولما تمت زراعة البلسان وغدا عصيره ناجما لجميع الجروح والأمراض الجلدية المستعصية أصبح البلسان موضع رعاية وعناية الحكومة والناس . انظر :- سعاد ماهر ، مساجد مصر جده ص ٤٠ . Savary, Lettres Sur L'Egypte Paris 1786, I P. 127.

الهام ذهنى ، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصريين (١٩٢٢م) ص ٢١٦ .

(٣) ابن أياس ، بدائع الزهور جده ص ٢٠٧ . Breydenbac, Les Saintes Peregrinations (1483) ed F. Larrivaz Cairo 1904. P.45.

Von Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff, Trans, Malcolm Letts, London, 1964. P. 109.

Abouseif (D), The North eastern Extension of Cairo Under the Mamluks" Ann Isl T.XVII (1981) P. 153.

Fabri, Le Voyage en Egypte, IFAO 1975 PP.526 F.,906.

وقد حرص الرحالة العرب والأجانب على زيارة المطرية خلال رحلاتهم إلى مصر وذلك لشهرة شجر البلسان بها الذى يستخرج منه دهن البلسم الذى لا مثيل لجودته فى جميع أنحاء العالم . (١)

وترجع أهمية البلسان للاستخدام الكهنوتى والطبى له فى الاقطار المسيحية فقد قال 'المقرئزى' والملوك النصارى من الحبشة والروم والفرننج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم لا يصح عندهم لأحد أن يتنصر إلا أن ينغمس فى ماء المعمودية ويعتقدون أنه لا بد أن يكون فى ماء المعمودية شئ من دهن البلسان ويسمونه الميرون . (٢) وقال 'ابن اياس' 'أيضا' إن ملوك الافرنج تتغالى فى دهن هذا البلسم ويشترون بثقله ذهباً ولا يتم عندهم التصير حتى يضعون من دهنه شيئا فى ماء المعمودية وينغمسون فيه' (٣) لذلك كان يحتكر التجارة فيه سلاطين المماليك فقط . (٤)

وقد انقطعت زراعته فى مصر فى أوائل القرن العاشر الهجرى (فى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م بالتحديد) ، ويرجع ذلك إلى إتلاف أشجاره بسبب الحرب بين طوائف المماليك عقب وفاة السلطان قايتباى كما ذكر ذلك الرحالة الألمانى فون هارف الذى زار مصر فى أيام الناصر محمد بن قايتباى . (٥)

ولما انقطعت زريعته من أرض المطرية تنكد السلطان الغورى بسبب ذلك لأن مصر كان تفخر بزراعته على سائر البلاد ويعتبر أحد خصائصها ومفترجاتها . (٦)

'ولا يزال الغورى يتفحص أمره حتى أحضر إليه بلسان برى من بعض الأماكن بالحجاز وهو فى طينه فزرعة بالمطرية فى مكانه المشهور به فتج و طلع لما سقى من ماء تلك البئر التى هناك فتج فى هذه السنة وطلع ما كان قد بطل أمره فعد ذلك من محاسن الملك الأشرف قانصور الغورى ' . (٧)

(١) عن الكلام عن البلسم وكيفية استخراجة وخصائصه أنظر: -

ابن حوقل ، صورة الأرض (ط ليدن ١٩٣٨م) ص ١٦٠-١٦١ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ص ٥٥-٦٠ ، الأدريسى ، نزهة المشتاق ص ٣٢٦ ، عبداللطيف البغدادي ، الإفادة والاعتبار ص ٢٢ ، ٤١ ، الهروى ، الاشارات إلى معرفة الزيارات (ط دمشق ١٩٥٣م) ص ٣٤ ، المقرئزى ، الخطط ج١ ص ٢٣٠-٢٣١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٥٧ ، ج٤ ص ١٤٩ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ج٢ ص ٢٨٧

(٢) الخطط ج١ ص ٢٣٠ .

(٣) بدائع الزهور ج٤ ص ١٤٩ .

(٤) Abouseif, Op. Cit., P. 160.

(٥) IBID.

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٤ ص ١٤٩ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص ١٣٣ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ج٢ ص ٢٨٧ .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ص ١٤٩ .

وكانت المطرية تنتقل فى تبعيتها من ولاية لأخرى من وقت لآخر فكانت أولا تعد من ضواحي مصر ثم تبعت الشرقية وأحيانا القليوبية<sup>(١)</sup> إلا أنها فى العصر المملوكى وردت فى الوثائق والمصادر أنها من ضواحي القاهرة .<sup>(٢)</sup>

وكانت تدخل فى العصر المملوكى فى إقطاع الأمراء الكبار وأحيانا يستخلصها السلاطين لأنفسهم وأحيانا تكون أرضها أملاك وأوقاف .<sup>(٣)</sup>

ولما كانت المطرية عامرة بالبساتين المثمرة لذا حرص بعض السلاطين أن يكون لهم بساتين بها فعلى سبيل المثال ورد بوثيقة المؤيد شيخ أنه كان له بستان يشتمل على سياج مبنى بالبلسان وغير ذلك وماهو من حقوقه من أبنية ومنظرة وآبار وسواقي وأنشأب مختلفة\* .<sup>(٤)</sup>

وكان للأشرف قانصور الغورى ثلاث قطع أرض متجاورات بالمطرية وقفها على بعض عمائره .<sup>(٥)</sup>

ولا تزال بقايا شجرة مريم موجودة للآن وبجوارها البئر والكنيسة المجاورة لها ، وحتى منتصف هذا القرن كان حول الكنيسة بستان كبير فى محل بستان البلسان إلا إنه ضاع فى ظل التبعديات المستمرة على الآثار .

ويمثل موقع المطرية وجهاتها الآن احياء القبة والزيتون والمطرية وعين شمس وشرقها العباسية ومصر الجديدة وغربها الزاوية الحمراء والأميرية .

### التنزه والصيد والاحتفالات بالمطرية :

كان الخروج للمطرية ونواحيها من شعائر السلطنة المملوكية كما كان أيام الفاطميين<sup>(٦)</sup> ، فقد كان سلاطين المماليك يخرجون إليها فى مواكب عظيمة ويصحبون معهم كبار الأمراء ورجال الدولة

(١) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق ٢ جا ص ١١ .

(٢) وثيقة المؤيد رقم ٩٣٨ أوقاف سطر ٣٤٤ ، كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف .

(٣) على سبيل المثال ذكر ابن تغرى بردى "ان المطرية كانت من ضمن اقطاع الأمير بشتك ولما فرق السلطان المنصور ابوبكر بن محمد بن قلاوون اقطاعا على الامراء ضم المطرية لنفسه "النجوم ج ١٠ ص ٨ - ٩ .

وذكر "ابن الجيمان" ان المطرية كانت عبرتها ١٥٠٠٠ دينار والبلسم ٣٠٠٠ دينار . التحفة السنية ص ٦ .

(٤) الوثيقة رقم ٩٣٨ أوقاف سطرى ٣٤٣ - ٣٤٤ نشر : - فهمى عبدالعليم ، العمارة العربية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ .

(٥) كتاب الوقف رقم ٨٨٢ أوقاف ١٤٢ - ١٤٣ .

(٦) كان الخلفاء الفاطميون يتوجهون كثيرا الى مسجد تبر بناحية المطرية .

\* ومسجد تبر قال عنه "المقريزى" هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديما بالبستر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبر وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية\* . كما ذكر "المقريزى" =

والجنود ، وينصبون هناك الخيام ومعهم كل ما يلزمهم من مأكّل ومشرب ووسائل صيد وغير ذلك لأنهم أحيانا كثيرة كانوا يبيتون هناك .

وكانت المنطقة من مناطق الصيد الشهيرة فامتدادها كبير من القبة جنوبا لعين شمس شمالا ويجاورها من الشرق الصحراء الريدانية التي حلت محلها مصر الجديدة ويحدها غربا الأميرية والزاوية الحمراء ، ويجرى بأرضها الخلدجان والترع والملق .

وكان السلاطين يزورون بئر وبستان اللسان وشجرة مريم والكنيسة المجاورة لها ويقومون احتفالات كبيرة يحييها مغنيو العصر وأصحاب الآلات وتمتد هناك الأسمطة والموائد الحافلة التي يقيمها السلاطين لأمرائهم أو العكس وتكلفتها شيء كثير .

ويوم خروج السلطان لتلك الجهات يكون أشبه بأيام الأعياد حيث يصطف الآلاف من سكان القاهرة في طريق الموكب في الذهاب والإياب وتزين القاهرة أحسن زينة وتضاء بألوف الشموع والقناديل .

ويكون الأحتفال أكثر روعة في أيام أعياد النصارى التي قد يتصادف وجود السلطان هناك <sup>(١)</sup> ، فعند شجرة مريم وبئر وبستان اللسان يجرى الاحتفال بعيد الزيتونة الذى يسمى أيضا عيد الشئمة ، ويذكر 'ابن الحاج' ان المسلمين كانوا يشاركون الأقباط في هذا العيد فيصحبونهم إلى هناك إلى بئر اللسان بالطرية حيث يغتسلون حيث يعتقد أن العذراء مريم غسلت فيه ثياب المسيح عليه السلام . <sup>(٢)</sup>

= نقلا عن القضاء والكندى وابن عبد الظاهر ان مسجد تبر هذا بنى على رأس إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسين ابن على بن ابي طالب الذى قتل سنة ١٤٥هـ وأتوا برأسه إلى مصر فى شهر ذى الحجة ، أما تبر هذا فهو أحد الأمراء الاكابر فى أيام الاستاذ كافور الإخشيدي وكان له دور فى مقاومة جوهر الصغلى قائد جيوش الفاطميين وقد قبض عليه وحبس حتى توفى سنة ٣٦٠هـ / ٩٧١م ، وقيل أنه انتحر فسلخ بعد موته وصلب وحشى جلده تبتا ولعل ذلك سببا فى أن العامة كانت تسمى هذا المسجد مسجد التين . الخطط ج٢ ص ٤١٣ .

\* ومسجد تبر هذا يقع بحديثة قصر القبة من الجهة الشرقية ، وقد أزالته السيدة شفق نور والدة الخديوى توفيق بقاياها الاثرية وأنشأته من جديد فى سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م طبقا لحساب الجمل على اللوحة الرخامية التى فوق باب المسجد المنقوش بها :

زها طالع الأنوار فى مسجد التبر	به البطل الثيرى فى قبه السر
لقد أنشأته شفق نور وحيدا	بها حرم المولى الخديوى ذى القدر
بوالدة التوفيق أنعم مؤرخا	أمد أساس النور فى مسجد التبر

٤٥ + ٢٨٧ + ٩٠ + ١٠٧ + ٤٦٣ = ١٢٩٤هـ

أنظر : - محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٤ ص ٢٩٧ .

(٢) المدخل ج٢ ص ٥٩ - ٦٠ .

وصارت المنطقة أكثر قصودا عندما بنى الأمير يشبك من مهدى الدوادار قبة عظيمة يرسم التنزه وأنشأ الى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة ، وقد بنيت هذه القبة فيما بين سنتي ٨١١ ، ٨٨٢هـ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ م ، وقد افتتحها السلطان الملك الأشرف قايتباى فى جمادى الأولى ٨٨٢هـ / اغسطس ١٤٧٧م وأعجب بها فأقام هناك يوما وليلة وأثنى على منشئها (١) .

ومن السلاطين الذين واطبوا على الخروج للمطرية ونواحيها الناصر حسن بن قلاوون (٢) والظاهر بوقوق (٣) والناصر فرج (٤) .

وكان الأشرف قايتباى أكثر الملوك خروجا الى المطرية ونواحيها وخليج الزعفران وبصفة خاصة بعد بناء قبة يشبك الذى بات بها مرارا وتكرارا ، وكان يقيم بها الأسمطة الحافلة لامراته وضيوفه الذين

(١) الأمير يشبك من مهدى من خيرة أمراء المماليك الجراكسة ، و له مآثر عظيمة ، وكان له فضل فى تجميل القاهرة فقد اهتم بإصلاح الطرق وتوسيعها وإصلاح واجهات الربوع التى نطل على الشوارع وهدم الكثير مما كان يعوق سعتها ، ومهد الشارع الرئيسى بالقاهرة وترتب على ذلك اكتشاف سلم باب مسجد الصالح طلائع وإصلاح مسجدى المؤيد والفاكهانى وغيرهما .

وكان شغوفاً بالعمارة فأنشأ كثيرا من الآثار التى لم يتبق منها سوى زيادته فى قصر الأمير قوصون ومنارة مسجد الإمام الليث وقبة الغداوية وهذه القبة ، وقد قتل يشبك فى إحدى حملاته فى الرها فى رمضان سنة ٨٨٥هـ / نوفمبر ١٤٨٠ م .

\* وهذه القبة من القباب الكبيرة امتازت بطراز خاص لم يكن شائعا بقباب مصر يومئذ ، وتسود خارجها البساطة بخلاف قباب عصرها ، وهى مكونة من قاعدة حجرية فوقها قبة بالطوب مقامة على منطقة انتقال عبارة عن أربع حنايا ركنية معقودة بمقد مدبب بكل حنية عقد ثلاثى الفصوص وقد اوجد المعمار على جانبى كل حنية أى فى كوشتها مثلثين قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى ليشاركا منطقة الانتقال فى إكمال استدارة القبة ، وقد كسيت من الداخل بالرخام المختلف الألوان وحوت كبات قرآنية وانشائية غاية فى الروعة ذات تذهيب وألوان جميلة .

وقد ألحق مصطفى باشا فاضل فى سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م جنوب القبة جامعا ذات منارة اسطوانية وقد جدد السلطان الغورى هذه القبة نسبت له فترة من الزمن كما جددت عدة مرات فى العصر العثمانى وعلى يد لجنة حفظ الآثار العربية .

وكان يشبك يبنائه قبة هذه مقتديا بالفاطميين الذين أنشأوا العديد من القباب والمناظر والاستراحات فى ضواحي القاهرة لاجل التنزه والتفرج مثل قبة الهواء ومنظرة التاج ومنظرة الخمس وجوه وغيرهم . انظر بالتفصيل :

ابن اجا ، تاريخ الامير يشبك الظاهرى (تحقيق عبدالقادر طليمات) القاهرة ١٩٧٣م ، السخاوى ، الضوء اللامع ج١ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ . حسن عبدالسوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية ص ٢٥٨ - ٢٦٠ ، سامى عبدالخليم ، الامير يشبك من مهدى واعماله المعمارية بالقاهرة ، ماجستير - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٥٦٨ .

(٣) المقرئى ، السلوك ج٢ ص ٤٨٢ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج١ ص ٣٧٣ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق٢ ص ٨١٤ .

اصطحبهم وأضافهم هناك ، مثل جم بن عثمان ، وأحيانا كان كبار الأمراء والوزراء هم الذين يستضيفون السلطان هناك منهم الأمير ابن مزهر كاتب السر والأتابكي أزيك .<sup>(١)</sup>

كذلك اعتاد السلطان الناصر محمد بن قايتباي على الذهاب إلى هناك<sup>(٢)</sup> وكذلك الظاهر قانصوه أبو سعيد .<sup>(٣)</sup>

وكان السلطان الأشرف قانصوه الغورى مغرما بالتنزه بالمطربة ونواحيها فكان غالبا مايقضى عدة أيام بلياليها منتقلا ما بين قبة العادل طومان باي إلى مطعم الطير والمطبة السلطانية هناك حيث يستعرض ويجرب المدافع ، ويذهب من هناك إلى قبة يشبك فيقيم حفلات كبيرة يحييها كبار المغنيين والموسيقين ، وأحيانا كانت زهراته أعياد النصرى .<sup>(٤)</sup>

وكانت مواكبة من أعظم المواكب ، وقد حدث ذات يوم أنه اراد أن يغير من طابع الموكب بأن يحمل على رأسه القبة والطيور (المظلة) وهما من شعائر السلطنة التى تجرى فى بعض الاحتفالات والمناسبات وأهمها موكب العيدين ، فنهاه الأمراء عن ذلك وقالوا له أن العادة لم تجر بمثل ذلك من قبل .<sup>(٥)</sup>

وقد ذكر "ابن اياس" أن السلطان الأشرف قانصوه الغورى أمر بحفر بئر عند قبة يشبك لإرواء المسافرين وأمر بعمل فساقى ، وأنه شرع فى عمارة قصر كبير وعمل بحيرة طولها نحو مائة ذراع ، وقد شرع فى تلك الأعمال فى ذى القعدة سنة ٩١٨ هـ وظل يذهب إلى هناك ويكشف عن تلك الأعمال حتى افتتح الفساقى فى يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة ٩٢٠ هـ وأطلق فيها الماء وبات هناك واتشرح للغاية ، ولكن "ابن اياس" لم يذكر القصر وباقى العمارة .<sup>(٦)</sup>

(١) ابن الصيرفى . انباء الهصر ص ٤٧ ، ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج٣ ص ٥٣ ، ٦٣ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٢٥ ، السخاوى ، الضوء اللامع ج١ ص ٢٠٥ ، ج١٠ ص ٢٧٤ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٤ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٤٠٠ .

(٣) نفسه ج٣ ص ٤٢٨ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ج٤ ص ١٧١ ، ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠٩ ، ٤٣١ ، ٤٤٦ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ .

(٥) نفسه ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

\* ويبدو ان العادة فى ركوب السلطان للصيد وفى مواكب السرحات والتنزهات أن يكون بغير القبة والطيور دلالة خاصة على التحرر والانطلاق .

(٦) بدائع الزهور ج٤ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

\* من الملاحظ هنا أن وثائق السلطان الغورى لم تذكر شيئا عن القصر الذى بناه بجوار قبة يشبك وأغلب الظن ان الغورى قد عدل عن عمله لأن الظروف وقتها لم تكن تسمح بذلك كما يقول ابن اياس .  
وقد ذكر ابن اياس فى كتابه طيبة بولاق ج٣ ص ٦٢ أن الغورى أنشأ عند القبة مساطب عليها دعامات .

وقد ذكر "ابن اياس" أنه كان يوجد بجوار قبة يشبك ملقعة كبيرة تملأ بالماء عند الفيضان ويكون منظرها أخاذا .<sup>(١)</sup>

وفى العصر العثمانى استمرت المطرية موضع تنزه كبير فكان الأمراء والماليك والفرق العثمانية يفضلون الذهاب لتلك الأماكن الخلوية للترويح عن النفس وللتصالح بين طوائفهم أحيانا .

ولما كانت المطرية فى طريق الجيش العثمانى الفاتح لمصر كانت المعركة الفاصلة قد دارت فى الريدانية بجوارها وكذلك بعض عمليات المقاومة المملوكية بعدها ، لذا أراد السلطان سليم الأول الاستمتاع بتلك الأماكن الجميلة التى رآها فى طريقة فذكر "ابن اياس" أنه "توجه إلى بئر البلسان التى بالمطرية وأضاف هناك محمد بن الرئيس شمس الدين القوصونى فمد له مدة حفلة وكذلك الشيخ دمرداش وانشرح ابن عثمان فى ذلك اليوم إلى الغاية وجلس على بئر البلسان وغسل وجهه من مائها وأقام هناك الى بعد العصر"<sup>(٢)</sup>

وكذلك كان ملك الأمراء خاير بك يذهب إلى قبة الأمير يشبك وعند هناك الموائد الحافلة .<sup>(٣)</sup>

#### رابعا : الحقول (الفيضان) والبساتين والضواحي

تمثل غيطان مصر وبساتينها متزهات بديعة فى العصرين المملوكى والعثمانى وكانت تحيط بالقاهرة من الشمال والغرب والجنوب ، وقد وصفها المؤرخ "ابن ظهيرة" بأنها "عظيمة وكثيرة ومناظرها عالية ومياهها جارسة ، فيها كثير من الأشجار النضرة والأزهار العطرة والرياحين ، والفواكة الكثيرة من غالب الثمار لكن الحوامض فيها أكثر"<sup>(٤)</sup>

وثمة مشهد خلاب لانزال نرى مثيله إلى اليوم بريفنا المصرى ، كان يغلب على حقول مصر والقاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى وعد واحد من محاسن القاهرة ألا وهو منظر القرط (البرسيم) بأراضى مصر فى أيام الربيع ، فإنها تصير تربة خضراء بمنظر بهيج إذا وقف الناظر فيها يرى مد بصره يمينا وشمالا بساطا أخضر ، جلست عظمة خالقة ، ويشم فيه روائح طيبة ونسيما طيبا ، ويشاهد غيما كثيفا وظلا رقيقا وطبورا مختلفة الألوان والأشكال والأصوات ولهذا قال بعض الحكماء: من أراد أن ينظر إلى شبة الجنة فليتنظر إلى ديار مصر فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس .<sup>(٥)</sup>

(١) نفسه ج٥ ص ٢٢٠ .

(٢) بدائع الزهور ج٥ ص ١٨٨ .

(٣) نفسه ص ٢٢٠ ، ٣٧٨ .

(٤) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ص ٢٠١ .

(٥) نفسه .

وبالنظر إلى خرائط الحملة الفرنسية للقاهرة نرى إحاطة الحقول (الغيطان) والبساتين بحدودها الشمالية والغربية والجنوبية ، وكانت مسماة بأسماء الامراء والشيخ ومن أكبرها غيط (بستان) قاسم بك الذى كان يجتمع فيه أعضاء المعهد المصرى ومجلس العلوم والفنون خلال الحملة ، وكان يوجد داخل المدينة نفسها عدد كبير من البساتين البهيجة أهمها اثنان وعشرون بستانا يسمى الواحد منها تبعا لحجمة غيط أو جنية . (١)

وقد قارن 'جومار' بين بساتين القاهرة وبساتين فرنسا ذكر أن بها اختلافا كبيرا لأن بساتين القاهرة كانت تتألف من مشاجر كثيفة ومجاميع من أشجار البرتقال والليمون وتكعيبات العنب وفيها أشجار السنط والتين والجميز أضخم أشجار مصر - متداخلة مع النخيل ذى الجذع المتطاوّل وأشجار التوت والرمال والنبق والآس والسنط المصرى وأشجار الموز ذى الأوراق العريضة والفاكهة اللذيذة ، وكانت بساتين فرنسا على النمط المعمول به بساتين وحدائق السوم من تقسيمها بممرات وتغطية أرضها بالنجيل الأخضر وإقامة المقاعد بها وغير ذلك . (٢)

ولكن جومار يبدى إعجابا بلعمة جمال وجدها فى حدائق القاهرة بقوله ' وإذا كنا لانشعر فى هذه البساتين بمتعة الرحلة ففى المقابل يمكننا أن نأخذ بها قسطا من الراحة داخل أكشاك مغطاة بالأعراش حيث يدخن فيه مرتادوها دخانا طيب الرائحة وحيث نتشقق بها طوال العام هواءا تفوح منه أذكى أنواع العطور' . (٣)

وكانت ضواحي القاهرة من متزهاتها فى العصرين المملوكى والعثمانى وكانت تحيط بها الحقول والبساتين من كل جانب ، ومن أهم تلك الضواحي أرض البعل والتاج والخندق ، وكوم الريش ، ومنية السرج .

## ١- أرض البعل والتاج :

أرض البعل<sup>(٤)</sup> كانت فى العصر الفاصمى بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة البعل وقد أنشأها الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر جمالى وقد جعل على هذا البستان سوراً . (٥)

(١) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص ٨١ .

(٢) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص ٨٠ .

(٣) نفسه ص ٨١ - ٨٢ .

(٤) البعل فى اللغة هو الزرع يشر بعروقه فيسمى على سقى ، والبعل : الأرض المرتفعة التى لا يصبها المطر إلا مرة واحدة فى السنة ، وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى ، وقيل البعل ما سقته السماء وقد استعمل الموضوع ، والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء ، وقيل هو ما اكتمى بماء السماء ، والبعل ما أعطى من الاناوة على سقى النخل . انظر : - مادة بعل فى المعجم الوسيط ، المقرئى ، الخطط ج ٢ ص ١٢٩ .

(٥) المقرئى ، الخطط ج ١ ص ٤٨٠ - ٤٨١ ، ج ٢ ص ١٢٩ .

وأرض التاج كانت فى العصر الفاطمى بستانا وفيه منظره التاج بناها الأفضل ايضا ، وكان بستان التاج مجاورا لبستان البعل ويجاورهما بستان الخمس وجوه ، وكانت تلك البساتين والمناظر من أجل متزهات الخلفاء والوزراء الفاطميين . (١)

وأرض البعل تقع فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطباله مقابل قناطر الاوز ، وقد ذكر "المقرىزى" أنها فى أيامه كانت مزرعة ويخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل والربيع ، وقد خربت المناظر آنذاك وبقي منها آثار أدركها المقرىزى يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها فى حال عمارتها . (٢)

أما أرض التاج أيام المقرىزى فقد زالت عنها الأشجار واستقرت فى أراضى منية السبرج الخراجية وفى أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره يشبه اللينوفر وإذا أشرفت الشمس انفتح فصار منظرا انيقا وإذا غربت الشمس انضم (٣) ، وربما هو الذى نعرفه اليوم باسم عباد الشمس .

ويمثل أرض البعل الآن المنطقه السكنية فى غمرة والشرايبية المحدودة من الشرق بشوارع الخليج المصرى (بورسعيد) ومن الشمال بشوارع الآلايلى وما فى امتدادة ومن الغرب بخط السكة الحديد الموصل الى محطة مصر ومن الجنوب بشوارع الظاهر وما فى امتداده . (٤)

وأرض التاج تقع شمال المنطقه السابقة ويمثلها الآن المنطقه السكنية المعروفة بمهمشه وحدها الشرقى شارع الخليج المصرى أيضا والحد الشمالى شارع معمل الصابون ومن الغرب السكة الحديد ومن الجنوب شارع الآلايلى وما فى امتداده .

## ٢- الخندق :

الخندق (٥) قرية خارج باب الفتوح شمال القاهرة كانت تعرف أولا بمنية الاصبع نسبة الى الاصبع

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) المقرىزى ، الخطط ج٢ ص ١٢٩ .

(٤) انظر أيضا : - محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الاول ، ص ١٥ - ١٦ .

(٥) الخندق هذا الذى سميت القرية به ترجع قصته إلى أول سنوات الدولة الفاطمية بمصر ، فبعد أن اختط القائد جوهر القاهرة فى سنة ٣٥٨هـ أمر المغاربة ان يحفروا خندقا من الجبل إلى الإبلز (وهو الطين الذى يخلفه نهر النيل على وجه الأرض بعد ذهابه) شمال القاهرة فى طريق القادم من الشام عشره عشرة أذرع فى عمق مثلها ، فبدىء فى حفره يوم السبت حادى عشر شعبان سنة ٣٦٠هـ وفرع الحفر فى أيام يسيرة ثم حفر خندقا آخر قدماه وعمقه =

بن عبدالعزيز بن مروان<sup>(١)</sup> ، ثم صار بتانا جليلا من جملة البساتين السلطانية فى أيام الخلفاء الفاطميين ، وقال المقرئى عن الخندق فى العصر المملوكى " وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة إليها ليتزهوا بها فى أيام النيل والربيع ، ويسكنها طائفة كبيرة ، وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفاخر والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه ، فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعة إلى جامع بالحسنية وبقي معطلا من ذكر الله تعالى وإقامة الصلاة مدة ثم فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة هدمه الأمير طوغان الدودار وأخذ عمله فلم يسق إلا بقية أطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنها ضرة لكوم الريش وكانت تجأها من شرقها فخرتنا جميعا" (٢)

ولكننا نجد أن العمارة عادت بعض الشئ عقب تلك المحن وظلت الخندق متزها بعد ذلك . (٣)  
وكان قرية الخندق الآن المنطقة الواقعة حول دير الملاك البحرى وما جاورها من منطقة حدائق القبة بالقاهرة . (٤)

= ونصب عليه باب يدخل منه وهو الباب الذى كان على ميدان بتان الإخشيد ، ويقصد بذلك أن يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فليل له من حيث الخندق وخندق العبيد والحفرة .  
المقرئى ، الخطط ج٢ ص ١٣٦ .

\* ولمصادفة مرور الخندق الخارجى المحفور من الجبل الأحمر إلى النيل بجوار منية الإصبخ من جهتها البحرية اشتهرت هذه القرية من ذلك الوقت باسم الخندق .

\* وقد حقق المرحوم الأستاذ محمد رمزى مسار الخندق فقال " وبالبحت عن المكان الذى يمر فيه الخندق الخارجى المذكور تبين لى أنه كان يبدأ من قاعدة الجبل الأحمر ثم يسير إلى الشمال الغربى مارا بشوارع السكة البيضاء إلى نهايته الغربية ومن هناك يعتدل إلى الشمال ثم يسير فى طريقه إلى الزاوية القبلية الغربية من حوش كلية العلوم بسراى الزعفران (مبنى جامعة عين شمس الآن) ، ومن هناك ينطف الخندق إلى الغرب ويسير فى طريقه إلى أن يتلاقى بشوارع الملك (شارع مصر والسودان حاليا) تجاه مدخل شارع اسرائيل ومن هناك يسير الخندق إلى الغرب مارا فى شمال قرية منية الإصبخ وقرية الزاوية الحمراء ثم يسير فى طريقه إلى الغرب إلى أن ينتهى بالنيل وكان شاطئه النيل الشرقى فى تجاه الزاوية الحمراء فى ذلك الوقت أى فى سنة حضر الخندق يقع فى المكان الذى يمتد فيه الآن جسر السكة الحديدية الموصلة من محطة مصر إلى الاسكندرية وبعد ذلك طرح البحر حتى وصل شاطئه إلى مجراه الحالى " .

محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق٢ ج١ ص ٥٦ - ٥٧ .

(١) المقرئى ، الخطط ج٢ ص ١٣٨ .

(٢) الخطط ج٢ ص ١٣٨ .

(٣) المقرئى ، السلوك ج٤ ص ٦٧٩ ، ابن تفرى بردى ، النجوم ج٤ ص ٢٧١ .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ق٢ ج١ ص ٥٦ .

### ٣- كوم الريش (الزاوية الحمراء) :

كوم الريش اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية السرج ، وكان النيل يمر بغربيها بعد مرورة بغربي أرض البعل<sup>(١)</sup> وكان كوم الريش من أجمل متزهات القاهرة ورغب أعيان الناس فى سكنها للتنزه بها<sup>(٢)</sup> ، وقبل المحن التى تعرضت لها القاهرة ابتداءا من سنة ٨٠٦هـ كان يسكن بكوم الريش أمراء دائما ، وكان من جملة من سكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطاني<sup>(٣)</sup> .

وعن عمارتها قال المقرئى \* وأنا أدركت بها سوقا عامرا بالمعاش بأنواعها من المأكلا ولا أعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المأكلا وأدركت بها حساما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنازة لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائع بهيج<sup>(٤)</sup> .

وعما آلت اليه فى زمنه من خراب قال \* وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانائة فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغسرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما أبكاني وأنشدت فى رؤيتها عند مشاهدتها خرابا :

فقا كأنك لم تكن تلهو بها فى نعمة وأوانس أتـراب

\* وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة أن أخذهم شديدا<sup>(٥)</sup> (سورة هود الآية ١٠٢) .

ولكن الأزومات التى بدأت سنة ٨٠٦هـ لم تدم ، ففى أيام المؤيد شيخ بدأ التعمير يعود للقاهرة ، وعادت كوم الريش إلى ماكانت عليه سابقا أثناء سلطنة الملك الأشرف قايتباى ، فقد أنشأ بها زاوية تجاه جامع قيدان دهنت حيطانها باللون الأحمر فعرفت بالزاوية الحمراء وكان ذلك سنة ٨٩٠هـ ، وقد عرفت كوم الريش منذ ذلك الوقت باسم الزاوية الحمراء وكان ذلك على يد أبو البقاء ابن الجيعان .<sup>(٦)</sup>

وقد ذكر \* ابن ياس \* أنه فى جمادى الأولى سنة ٨٩٦هـ \* انتهت عمارة ابو البقاء بن الجيعان من

(١) المقرئى ، الخطط ج٢ ص ١٣٠ .

\* وقال المقرئى عن النيل وأثره على كوم الريش \* وأدركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش إلى اطراف المنية (منية السرج) حتى تغيرت الأحوال من بعد سنة ست وثمانائة ففاض ماء النيل فى أيام الزيادة ونزل فى الدرب الذى كان يسلك فيه من أرض الطبالة إلى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه .

(٢) المقرئى ، الخطط ج٢ ص ١٣٠ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) السخاوى ، الضوء اللامع ج٦ ص ٢٠٩ . محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ق٢ ج ١ ص ١١ . ، تعليقه على النجوم الزاهرة ج٩ ص ٢٠٣ .

تجديد ما عمره فى الزاوية الحمراء التى عند قناطر الأوز وصارت من جملة مفترجات القاهرة ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء :-

عجبت لجامع قد زاد حسنا

وأبدع فى التزخرف والبناء

به أنهار تجرى فى جستان

وقصر شاهق لأبى البقاء

وصنع هناك جامعا بخطبة وجاء فى أحسن المباني \* (١)

وفهم من كلام ابن اياس ان ابن الجيعان قد حول الزاوية إلى جامع بخطبه ، ويرسم لنا ابن اياس صورة للمنطقة آنذاك بقوله فى ترجمته لابن الجيعان (٢) انه هو الذى \* أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة والخوض والسيل ، وأنشأ هناك القصور والمناظر والغيط الحافل وصار ذلك المكان من جملة مفترجات القاهرة وتسمى إليه الناس فى زمن النيل بسبب الفرجة هناك وصار عوضا عن التاج والسبعة الوجوه التى كانت من المفترجات القديمة \* (٣)

وقد ظلت أعمال ابن الجيعان قائمة فى العصر العثمانى وكانت الزاوية معروفة باسمه وقد آل القصر الذى انشأه والجنيهة الملحقه به و كذلك الاراضى والغيط الذى كان جاريا فى أوقافه إلى الأمير عثمان كتحدا القازد وغلى فى محرم سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م (٤)

#### ٤- منية السيرج :

منية السيرج لا تزال موجودة للآن بشبرا بالقاهرة ، و هى بلدة قديمة لها أهميتها لوقوعها فى طريق الاسكندرية ، وسميت بهذا الاسم لأنه كان بها معاصر كثيرة للسمسم الذى يستخرج منه زيت السيرج المعروف بالسيرج وهى تعرف أيضا بمنية الأمير ومنية الامراء لكثرة من سكن بيها منهم فى العصر المملوكى ، وكانت آنذاك عامرة بدور السكنى والقصور وجامع وزوايا وحمامات وبساتين ومنتزهات وكان سوقها الذى يقام الأحد من أسواق مصر المشهورة وكان يباع فيه البقر والغنم

(١) بدائع الزهور ج٣ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) ابن الجيعان هو ابو البقاء محمد بن يحيى بن شاکر ، كان رئيسا حشما فاضلا عارفا بأحوال الملكة وكان مقربا عند الأشرف قايتباى ورمى فى أيامه وانتهت إليه الرياسة وفاق على من تقدمه من أقاربه وكان أدويا حلوا للسان سيوسا وله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ بنى الجيعان ، وكان له بر معروف ، وقد قتله بعض المالكى فى ذى القعدة سنة ٩٠٢ هـ عن عمر يناهز الستين عاما ، وولى السلطان مكاته أخاه صلاح الدين وقرره فى استيفاء الجيش مضافا لما بيده من كتابة السر .

ابن اياس ، بدائع الزهور ج٣ ص ٣٦٣ .

(٣) نفسه .

(٤) كتاب وقف عثمان كتحدا رقم ٢٢١٥ أوقاف ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ .

والغلال، وكانت عبرتها في العصر المملوكي تفوق العشرة آلاف دينار وكانت تشتهر بعصر الخمر وبيعه، وكان أكثر من كان يسكن بها النصارى<sup>(١)</sup> ولا يزالون.

وهي من محاسن متنزهات القاهرة فقد اتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبايات، وبها كان يعمل عبد الشهيد لقربها من ناحية شبرا، وذكر 'المقريزي' أنه أدركها عامرة بكثرة المساكن والأسواق والمناظر وتقصد للترهة بها أيام النيل والربيع لاسيما يومى الجمعة والأحد فإنه كان للناس في هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير<sup>(٢)</sup>.

وكانت منية السرج واقعة على شاطئ النيل لغاية سنة ٦٨٠ هـ وفي تلك السنة طمى الخور الذى كان فاصلا بينها وبين جزيرة الفيلى التى تشمل اليوم قسمى شبرا وروض الفرج من أقسام القاهرة فاتصلت أرض الجزيرة المذكورة بالشاطىء الأصلى للنيل وبذلك أصبحت مساكن هذه القرية فى وسط الأراضى الزراعية<sup>(٣)</sup>.

### خامسا: رباط الآثار

يعتبر رباط<sup>(٤)</sup> أثر النبى من أهم متنزهات مصر ذات الصفة الدينية فى العصرين المملوكى والعثمانى وذلك لما تمتع به منذ انشائه من موقع إذا كان يقع جنوب مدينة مصر الفسطاط مطلا على النيل مباشرة ومحاطا بسبستان ومزروعات ومواجهاً لبرك الحبش والشعبية وشطا، وكان يتوصل إليه عن طريق جسر الأفرم<sup>(٥)</sup>.

وكان الرباط مجاورا لبستان شهير عرف باسم المعشوق، والمعشوق هذا بستان قديم كان بمظاهر مصر من جملة خطة راشدة كان قد عرف أولا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الأمير تهيم بن

(١) ابن دقماق، الانتصار ج٥ ص٤٧، المقريزي ج٢ ص١٣٠، ابن الجيعان، التحفة النبوية ص٧، احمد دراج، حجة وقف الأشرف بزيباى ص٤٢.

(٢) المقريزي، الخطط ج٢ ص١٣٠.

(٣) محمد رمزى، القاموس الجغرافى، ق٢ ج١ ص١٤ - ١٥.

(٤) الرباط نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام، بحد السيف، وكانت الارطبة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن يتشر الدين ويستتب الأمن وتأمين الدولة الاسلامية على حدودها، وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل فى أركانها أبراج للمراقبة، ولما زالت عن تلك الارطبة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتشرف والعبادة يسكنها الصوفية وأصبحت تدرس بها علوم الدين وصارت تبنى فى وسط المدن، كما خصصت بعض الربط للنساء اللاتى أصبحن بلا عائل فأهتمت تلك الربط النسائية بكفالتها المرأة المسلمة وحمايتها. أنظر: المقريزي، الخطط ج٢ ص٤٢٧، سعاد ماهر، مساجد مصر ج١ ص٤١٣، دولت عبدالله، معاهد تذكىة النفوس فى مصر فى العصر الايوبى والمملوكى، القاهرة ١٩٨٠ م ص٤٩ - ٥٠.

(٥) عن جسر الأفرم انظر ما سبق ص ١٣٣.

المعز لدين الله ثم حدده الأفضل بن أمير الجيوش فعرف به ثم صار من وقف ابن الصابوني فأخذها الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه . (١)

وظلت الأراضى حول رباط اثر النبي بساتين وحقولا (٢) حتى حوت إلى أرض مباني فى النصف الثانى من هذا القرن فاتصلت مبانيها بدار السلام (دير الطين سابقا) من ناحية الجنوب أما شمال الرباط فقد شغل ساحل اثر النبي جزءا كبيرا من نذ البساتين ، وكذلك شغل جزء من الأرض الآن جراج لهيئة النقل العام بالقاهرة .

ويشرف جامع اثر النبى (رباط سابقا) حاليا على ترعة اثر النبي وهى فرع من النيل يواصل لساحل الغلال .

### الآثار المنسوبة للرسول "صلى الله عليه وسلم" :

اعتبر المؤرخون هذه الآثار من الفضائل التى اختصت بها مصر دون غيرها من البلاد (٣) ، وقد اختلف المؤرخون والرحالة فى عدد وثمان وصفة وتأكيد نسبة هذه الآثار للرسول صلى الله عليه وسلم التى حواها الرباط وقت انشائه ، ويرجع سبب ذلك أن بعضهم لم يرها فذكر مانقل له عنها بالسمع ، ومنهم من تساهل فى استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها ، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله (وغير ذلك) ، ونخلص من تلك الروايات أنها كانت قطعة من العترة أى الحربة ، وقطعة من القصعة ، ومرود عبر عنه بعضهم بالليل وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس اصفر ، وملقط قال عنه بعضهم من حديد وقبده بعضهم بكونه صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها ، ومخصف وقبده بعضهم بكونه صفيرا وعبر عنهم بعضهم بالاشفى الذى كان

(١) المقرئى ، الخطط ج٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٤٢٩ .

(٢) ذكر المرحوم محمد رمزى أن "أثر النبى أصلها عربة قديمة من ضواحي مصر القديمة عرفت باسمها الحالى نسبة إلى مسجد الآثار النبوية الموجود بهذه القرية ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ضمت الأراضى الزراعية الواقعة فى منطقة البستان المشوق وبركة شطا وبركة الشعيبة إلى بعضها وتكون منها زمام خاص باسم ناحية أثر النبى وبذلك أصبحت هذه القرية من ذلك التاريخ ناحية قائمة بذاتها من الوجهتين الإدارية والمالية وهى الآن تابعة لمحافظة مصر فيما يختص بأعمال الإدارة والضبظ والصحة والقرعة والمركز ومديرية الجزيرة فيما عدا ذلك ويسمى العامة أثر النبى بالثناء بدل الثاء " .

أنظر :- القاموس الجغرافى ق ٢ ج٣ ص ٣ ، تعليقة على النجوم الزاهرة ج٩ ص ١٦١ ، ج ١١ ص ٢٧٢ .

\* والآن أصبحت تلك الناحية تابعة من كافة أمورها لمحافظة القاهرة .

(٣) ابن ابى السرور البكرى ، الكواكب السائرة فى اخبار مصر والقاهرة (مخطوط) ص ٩٣ .

صلى الله عليه وسلم يخصف به نعله ، ومكحلة ومشط وانفرد بذكرهما "ابن كثير" وقطعة عصا وانفرد بذكرها "الجبرتي" وقطعة من القميص لم يذكرها الا "ابن اياس" و"الجبرتي" . (١)

ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأمير المؤمنين على بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم أضاف إليها السلطان الغورى المصحف العثماني الذى كان بمدرسة القاضى الفاضل (٢) وهما باقيان إلى اليوم وفى نسبتهما إليهما نظر . (٣)

ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحلة والمرود والقطعة من القميص والقطعة من القضب وهى التى عبر عنها الجبرتي بقطعة عصا وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة محفوظتان فى زجاجه . وقد حفظت جميعها فى أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة فى قطع من الديباج الأخضر المطرز : المكحلة والمرود فى صندوق والشعرتان فى صندوق والقميص فى صندوق والقضب فى صندوق ، وفقدت بقيت الآثار التى كانت معها وهى القطعة من العنزة والقطعة من القصعة والمخصف والمقط والمشط ولا يعلم فى أى زمان فقدت . (٤)

### نقل الآثار من الرياض :

ظلت الآثار برباط الآثار منذ إنشائه حتى نقلها السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى إلى قبه التى انشأها مواجهة لمدرسته بسوق الشرايشين بأول الغورية حاليا (أثر رقم ١٨٩) بحجة تشعث بناء الرباط والخوف عليها من السراق نظرا لانعدام الأمن فى المنطقة التى بها الرباط آنذاك ، وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة ٩١٠هـ - ١٥٠٤م بعد أن أفتى العلماء بجواز نقلها فأجازوه بخلاف شروط الواقف ، وأضاف الغورى إلى هذه الآثار ربعة شريفة مكتوبة بالذهب كانت بالخانقاة البكتيرية التى بالقرافة . (٥)

(١) ابن بطوطة ، الرحلة (ط دار الكتاب اللبناني) ص ٣٧ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٤٧ ، المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٤٢٩ ، ابن ابيك ، كتر الدرر ج ٩ ص ١٩٢ ، ابن دقماق ، الانتصار ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٧٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ ، الجبرتي ، عجائب الآثار ج ٢ ص ١٧٤ ، احمد تيمور ، الآثار النبوية (ط ٢ القاهرة ١٩٥٥م) ص ٢٧ - ٣٥ .

(٢) كانت مدرسة القاضى فى درب ملوخية المعروف الآن بدرب القزازين قرب المشهد الحسينى ، انظر : - احمد تيمور ، الآثار النبوية ص ٣٦ .

(٣) نفسه ص ٤٢ .

(٤) نفس الصفحة .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ .

\* خانقاه بكتير هذه ذكرها المؤرخون بأنها بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش وأقامها بكتير فى =

وظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغورى حتى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م حيث نقلت إلى المسجد الزينبي ، ثم نقلت فى موكب حافل إلى خزنة الأمتعة بالقلعة ، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م الى ديوان الأوقاف ، وفى سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م نقلت الى قصر عابدين مقر الخديوى ومنه نقلت فى السنة المذكورة إلى المسجد الحسينى فى موكب مهيب ضم ثلاثين ألف نسمة واحتشد لرؤية نحو مائتى ألف ، ثم أقام لها الخديوى عباس حلمى سنة ١٣١١هـ / ١١٩٣م حجرة خاصة لها وراء الجدار الشرقى للمسجد الحسينى ، الجدار الجنوبى لقبة المسجد وجعل لها بابان واحد إلى المسجد وواحد الى القبة . (١)

### المكانة الدينية التى تمتع بها الرياض :

تمتع الرياض بمكانة عظيمة فى قلوب الناس جميعا حكاما ومحكومين فى العصرين المملوكى والعثمانى نظرا لما ضم به من آثار شريفه نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتباركون بها على وجه العموم .

ويكون للرياض أهمية عظيمة فى حالة حدوث الأحداث الجسام كالطواعين والأوبئة ويكون له الأهمية القصورى بوجه خاص فى حالة حدوث توقف النيل عن الفيضان أو زيادته عن الحد إذ يهرع اليه الناس جميعا على رأسهم العلماء والقضاة حيثئذ وكانوا يغسلون تلك الآثار فى ماء النيل فى الرياض أو فى مقياس النيل ويتضرعون الى الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنهم البلاء (٢) ، وربما كان

---

= شهر رجب ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م وبنى بجانبها حماما وأنشأ هناك بستانا فعمرت تلك الحطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس فى مشيختها ووضع بها الربعة الشريفة المكتوبة بماء الذهب ، وكانت هذه الخانقاه بالقرب من مقام ابن عطاء الله السكندرى وعبد الله بن أبى جمره الباينى لأن بقرافة على ابو الوفا الكاتبة تحت سفح المقطم من الجهة الشرقية لقرافة الامام الليث ، كما كانت مجاورة لمقام سيدى محمد وفا ، وكانت بجوار حوش الملك الظاهر بيبرس . انظر : - المقرئى ، الخطط ج١ ص ٤٢٣ - ٤٢٤ ، السخاوى ، تحفة الاحباب ص ٧٧ - ٧٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٤٦٧ .

\* هذه الربعة الشريفة محفوظة الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢ مصاحف ميكروفيلم ٣١٧٧ ، والوقفية الواردة عليها مؤرخة بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ومقاسها ٥٥٤ X ٤٠١ سم . انظر : - عبداللطيف ابراهيم ، المكتبة المملوكية (القاهرة ١٩٦٢م) ص ٧٤ لوحة ٢ ، محمد حمزة ، قرافة القاهرة ص ٨٠ - ٨١ .

(١) انظر بالتفصيل : - احمد تيمور ، المرجع السابق ص ٣٩ - ٤١ .

(٢) انظر : - المقرئى ، السلوك ج٣ ص ٢١٨ .

ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر ج١ ص ٥٩ ، ج٢ ص ٢٥٩ ، ابن تغرى بردى . حوادث الدهور ج١ ص ٨٧ ،

ذلك هو السبب الذى من أجله جعل الصاحب تاج الدين ابن حنا يبنى الرباط على النيل مباشرة .

## عمارة الرباط فى العصر المملوكى :

بالرغم من أن الرباط الأصيل قد زال كلية وبنى مكانه مسجد إلا أننا نستطيع أن نستشف الوضع الإنشائى الذى كان عليه والذى كانت عليه الأربطة فى العصر المملوكى فتقول أنه فى الغالب كان يتكون من صحن مكشوف يحيط به مكان مغلق للعبادة (أيوان أو أكثر) وكذلك طبقات (حجرات) متجاورة لإقامة الصوفية وربما كان له أكثر من طابق .<sup>(١)</sup>

وقد أنشأ الرباط الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا ، وذلك ليضم به الآثار التى تنسب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد مات تاج الدين سنة ٧٠٧هـ ولم يكن قد أكمل الرباط فأكماله ابنه الصاحب ناصر الدين .<sup>(٢)</sup>

ولما أكمل الصاحب ناصر الدين بناء الرباط بعد وفاة والده رتب عليه الأوقاف الكثيرة وجعل فيه الطعام للسوارى والصادر والجرارية لخدام تلك الآثار الشريفة<sup>(٣)</sup> ، كما استحدثت وظيفة هامة تعلقت بالآثار فى العصر المملوكى هى وظيفة شيخ رباط الآثار .<sup>(٤)</sup>

واستمر الاهتمام بالرباط فى العصر المملوكى فنرى أن السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن

---

(١) نستشف ذلك الوصف من الأربطة التى بقيت من العصر المملوكى مثل رباط أبو طالب .  
\* وكذلك مما ذكره الرحالة "ابن بطوطة" الذى زار مصر فى طريقه للحجاز أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث وصف الرباط بأنه رباط عظيم وأنه قد بات به ليلة .  
انظر الرحلة ص ٣٧ .  
\* وكذلك ما ذكره البرهان الحلبي فى حاشيته المسماة نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس إذ قال : " فى آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البناء وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل اليه وبركة من ماء النيل ومظهرة بماء النيل . . . "

انظر احمد تيمور ، المرجع السابق ص ٣٢ .  
(٢) أسرة ابن حنا أسرة عريقة تولى أفرادها منصب الوزارة وغيره من الوظائف الهامة فى زمن الدولتين الأيوبيه والمملوكية البحرية ، وتميز أفرادها بالتدين وحب العلم والكثير من الصفات الحميدة . عنهم بالتفصيل انظر :  
ابن ابيك ، كنز الدرر ج٩ ص ١٩٤ ، ابن دقماق ، الانتصار ج٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ ،  
المقريزى ، الخطط ج٢ ص ٢٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٢٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ج١ ص ٢٤٨ ، ج٤ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٨٥ ، ٤١١ ، ٥١٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ج٢ ص ٤٢٩ ، ابن بطوطة ، الرحلة ص ٣٧ .

(٤) السخاوى ، التبر المسبوك ص ٣٥ ، الضوء اللامع ج١ ص ١٣٨ .

محمد بن قلاوون قد قرر فيه دروسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه عليهم .<sup>(١)</sup> وفى ايام الملك الظاهر برفوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط<sup>(٢)</sup> ، كذلك أمر السلطان المؤيد شيخ بتجديد الرباط فى رجب سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠ م .<sup>(٣)</sup>

ونظرا لترميمات العديدة للرباط ذكر السيوطى أن الرباط قد تغيرت معالمه فى نهاية العصر المملوكى .<sup>(٤)</sup>

### عمارة الرباط فى العصر العثماني :

هدم الرباط كلية فى العصر العثماني وبنى مكانه جامع صغير هو الموجود حاليا ، وكان ذلك بإذن السلطان العثماني محمد الرابع (١٠٥٨ - ١٠٩٩ هـ / ١٦٤٨ - ١٦٨٨ م) وتم إنجاز ذلك على يد الوالى ابراهيم باشا الدفتردار (١٠٧١ - ١٠٧٤ هـ / ١٦٦١ - ١٦٦٤ م) كما بنى ابراهيم باشا قصرا كبيرا مجاورا للجامع بالاضافة إلى رصيف لدفع ماء النيل عن بنائه كما أوقف عليه أموالا ، وكذلك أوقف عليه أرضا وعين وعين به قراء ووظائف وحراسا قاطنين به .<sup>(٥)</sup>

وكان بناء الجامع لأجل وضع آثار قدمين نسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بديلا عن الآثار التى كانت قد نقلت الى قبة الغورى .<sup>(٦)</sup>

وفى فترة حكم الوالى عمر باشا السلحدار (١٠٧٤ - ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٤ - ١٦٦٧ م) تم إحاطة الجامع بسور من الخارج فى الأربع جهات وتم وضع سواقي فى الأرض المحصورة بين الجامع والسور

(١) المقرئى ، المخطط ج٢ ص ٤٢٩ .

(٢) نفسه .

(٣) المقرئى ، السلوك ج٤ ص ٥٣٤ ، العيى ، عقد الجمان (نشرالزهراء) ص ١٠٨ ، ابن تغرى بردى ، السجوم ج٤ ص ٩٩ .

(٤) حسن المحاضرة ج٢ ص ٢٧٣ .

(٥) تم تسجيل تلك العمارة التى قام بها ابراهيم باشا الدفتردار بأمر السلطان محمد الرابع على اللوحة الرحامية التى توجد أعلى مدخل القبة التى بها آثار القدمين وكذلك على اللوحة التى تملو دخلة الآثار . ونظرا ايضا :- ابن

الوكيل ، تحفة الاحباب (مخطوط) ص ٢٠٣ ، الصوالحى ، تراجم الصواعق فى واقعة الصناحق ص ٩٩

\* وقد اتى الرحالة النابلسى على هذا القصر . أنظر الحقيقة والمجاز ص ٢٤٠ .

(٦) آثار الأقدام التى نسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم والمتشرة فى أماكن عديدة لا أساس لها من الصحة وقد فند تلك الادعاءات الكثير من العلماء

من الجهة الجنوبية الشرقية والجهة الشمالية الشرقية ، وتم إنجاز ذلك حسب ماهو مثبت باللوحة التي تعلق الباب فى السور بالجهة الجنوبية الشرقية سنة ١٠٧٧هـ .

وفى شهر رجب سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩ م قام الخوجا (التاجر) محمود حسن بزرجان بتجديد الجامع كما كان عليه . (١)

وفى سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م هدم محمد على القصر المجاور للجامع وأنشأ مكانه قصرا غيره على طراز القصور الاوربية وزخرفه بزخارف الباروك والروكوكو وفرشه أحسن فرش وكان كثير التنزه إليه والمبيت به (٢) ، وهذا القصر لا وجود له حاليا ولا يزال موضع أرضه فضاءا محاطا بسور ملاصق لسور الجامع .

### الوصف الحالى للجامع (اثر رقم ٣٢٠) :

الجامع محاط من الخارج بسور كبير من الأربعة جهات ، وبالطرف الجنوبى من الجانب الجنوبى الشرقى للسور باب ذو عقد قوس (موتور) يعلوه نص انشائى باللغة التركية يحمل اسم السلطان محمد غازى (محمد الرابع) وتاريخ سنة ١٠٧٧هـ ويفيد النص وضع ساقية فى الجنية المحيطة بالجامع ، ولا يزال يوجد للآن عمودا ساقية فى الجهة الشمالية الشرقية للجامع ، العمود الأول يقع على امتداد جدار القبلة بتوسط المسافة بين كتف الزاوية الشرقية للجامع وبين السور وهو يربط بين عقدين قوسيين يرتكزان فى الوسط على طيلة العمود وفى الطرفين على كتف الزاوية الشرقية للجامع وعلى السور الشمالى الشرقى وهذا العمود مثنى الاضلاع وتاجه كورنشى (لوحة ٥٣) أما العمود الآخر فهو اسطوانى وتاجه كورنشى ويربط كذلك عقدين قوسيين يرتكزان فى الوسط على طيلته وفى الطرفين على كتف الزاوية الشمالية للجامع وعلى السور الشمالى الشرقى ، وترتبط هذا العقود بأزبطة خشبية .

ويتوسط السور الشمالى الشرقى فتحة باب متوجه بعتب مستقيم ، وقد سعت هذه الفتحة حاليا وكانت تؤدى إلى القصر الذى موضعه الآن أرض فضاء .

والجامع من الخارج مستطيل الشكل أبعاده ١٧ر٦٠×١٦ر١٠م وواجهاته الأربعة خالية وهو خال من الزخارف ، ويتوسط الجانب الشمالى الغربى باب الدخول إليه وهو باب خشبى بسيط من مصراعين وهذا الباب يتوسط دخلة متوجة بعقد قوسى (موتور) وعلى جانبيها جليستان صغيرتان ، وعلى جانبى المدخل أربعة شبايك شباكان فى كل جانب وتلك الشبايك مستطيلة الشكل يتوجها

(١) الجيرى ، عجائب الآثار ج٣ ص ٢٧٢ .

(٢) نفسه، ص ٥٧١ .

أعتاب من صنجات معشقة ويغشيها من الخارج مصبغات خشبية ، ويرتد الجدار قليلاً للداخل فوق مستوى الشباييك ، ويعلو الأربع شباييك والباب خمس قمریات مطولة عقودها مدببة ويغشيها من الخارج سلك ، وكذلك باقى الواجهات بسيطة وتشابه تلك الواجهة .

أما الجامع من الداخل فيتكون من مساحة مستطيلة أبعادها ١٥ر٦٠X١٤ر١٠م ، وهذا الجامع مقسم إلى ثلاثة أروقة متساوية بواسطة بائكتين ثلاثيتين عقودها نصف دائرية أوسعها الأوسط نسير موازية لجدار القبلة محمولة على أربعة أعمدة .

ويتوسط جدار القبلة محراب قطاعه مدبب يتقدمه دخله اتساعها متران على جانبيها عمودان مثنان ذوا تيجان وقواعد ناقوسية أما اتساع فتحة المحراب فتبلغ ١٨ر١م ، وعمقها ٨٠ر٠م ، يعلوها طاقية على هيئة ربع كرة زخرفت بزخارف إشعاعية بالألوان الصفراء والزرقاء والحمرء ، وتلك الإشعاعات تنطلق من شمس مشرقة ، وقد حددت توشيحى المحراب بجفت لاعب ذات ميمات مستديرة ومسدسة ، يلعو ذلك آية قرآنية نصها ' كلما دخل عليها زكريا المحراب ' ، وعلى كل جانب من جانبي المحراب شباكان وتلك الشباييك الأربعة وكذلك بقية شباييك الجامع ذات اتساع واحد يبلغ كل منها ١ر٥٥م يغلق على كل منها مصراعان خشبيان من الداخل ومصبغات حديدية من الخارج ، وترتفع الشباييك عن أرضية الجامع ٣٢ر٠م ويعلو كل شباك قمرية مطولة من الجص والزجاج الملون من الداخل بشكل زخارف هندسية وأشكال نجمية ، ومن الخارج مغطاة بسلك ، ويعلو المحراب قمرية مستديرة من الزجاج المعشق بالجص .

ويقابل هذا الجانب الجانب الشمالى الغربى الذى يماثله فى فتحات شباييكه وقمرياته ولكن القمرية التى تعلو الباب مطولة وليست مستديرة كالتى تعلو المحراب الذى على نفس محور الباب .

والجانب الجنوبى الغربى يحتوى على ست فتحات أربع فيها شباييك واثنتين باين يودى أحدهما إلى الحجرة بها آثار الأقدام والباب الآخر يودى إلى دورة المياه ، ويعلو الشباييك الأربعة أربع قمریات مطولة ، ويقابل هذا الجانب الجانب الشمالى الشرقى الذى فتح به ٤ شباييك وحوى كتيبتين وفى المستوى العلوى فتحت أربع قمریات من الزجاج المعشق بالجص تعلو الشباييك .

وأرضية هذا المسجد حجرية والسقف خشبى حديث وكان السقف القديم مزخرف بالألوان والتجليد كما يتضح من بقايا قليلة تبقت منه أثناء ترميم هيئة الآثار الحالى للجامع وقد زخرفت جدران المسجد بالألوان ، وعلى جدار القبلة زخارف عبارة عن مربعات بداخلها أشكال ورود ، وأما الجدران الثلاثة الأخرى فزخارفها عبارة عن دالات وذلك باللونين الأحمر والأسود ، وقد زخرفت بواطن العقود بزخارف على هيئة صنج مزررة باللونين الأحمر والأسود .

ويوجد على يمين المحراب منبر خشبى حديث من حشوات هندسية مستطيلة ومربعة ويوجد فى

الركن الغربى للمسجد دكة مبلّغ محمولة على الجدارين المتقابلين وعمود مستدير ذات تاج كورنثى ، ويصعد من خلاله الدكة إلى سطح والمثمنة .

ونلاحظ أن الأعمدة الرخامية الأربعة بالمسجد متماثلة وهى مثمّنة البدن ونلاحظ أن عمودى البائكة التى تلى جدار القبلة مباشرة شكل الجزء السفلى منها على هيئة قاعدة مربعة يعلوه التثمين ، ويعلو هذين العمودين تاجان كورنثيان أما عمودى البائكة الأخرى فيعلوهما تاجان ناقوسيان وقد حفر على بدنهما كتابة بالخط الثلث المملوكى على أحدهما كتب "أمر بتجديد هذا المكان المبارك" والآخر عليه "مولانا السلطان الملك" (١) .

## القبلة :

أما الحجرة التى بها الآثار فهى مربعة ٢٩٥ - ٢٨٥ م ، يعلو تربيعها منطقة انتقال على الطراز الحلبى على هيئة أربعة مثلثات بأركانها رأسها لأسفل تتكون من أربع حطات (١ - ٢ - ٣ - ٤) ، يلى ذلك رقبة مستديرة فتح بها ٨ قمريات يعلوها قبة مرتفعة قطاعها مذبب محلاة من الداخل بزخارف دالية ملونة ويتدلى من صنعها المفتاحية سلسلة تحمل مركبا . والقبّة من الخارج مزينة بزخارف دالية تبدأ بميمات ، ومنطقة الانتقال من الخارج على هيئة مثلثات منزلقة (مائلة) .

ويوجد بجدار القبلة بهذه الحجرة محراب ذات قطاع مذبب على يسار السداخل ، أما على اليمين فتوجد دخلة متوجه بعقد مذبب يرتكز على عمودين مسدسين ، وترتفع أرضية الدخلة ٨٠ سم عن أرضية الحجرة وقد وضع بها قطعة حجرية نحت بها آثار قدمين ، ويتصدر الدخلة لوحة رخامية مزخرفة بزخارف نباتية من أوراق وزهرة اللالا والخرشوف وعلى جانبى اللوحة شجرتى سرو ، وبها نص كتابى عبارة عن سطرين باللغة التركية تفيد الدعاء لإبراهيم باشا واضح الاثر ، ويتوسط أعلى جدار القبلة قمرية مستديرة ، وبالجانب المقابل يوجد باب الدخول عبر مدخل منكسر ، وبالجدار الجنوبي الغربى شبك فى دخلة مائلة يعلوه قمرية مطاولة ايضا ، والجدار المقابل له به شبك مشترك مع المسجد يعلوه قمرية مطاولة أيضا ، وأرضية الحجرة من رخام ملون موزع بطريقة هندسية .

وكانت الحجرة كلها مزخرفة بالبلاطات الخزفية المربعة المزخرفة تبعا للأسلوب المسمى بأسلوب أزيق الذى أنتشر فى القرن ١٧ م وهى تحوى زخارف من زهور اللالا والأوراق المسننة والخرشوف وغيرها ، وهى كلها باللون الأزرق ، وقد فقدت بعض البلاطات الآن .

(١) هذه الأعمدة تجلعا فى وضع محير إن كانت تنتمى للعصر المملوكى فمعنى هذا أن الرباط قد تحول إلى مسجد فى ذلك الوقت وأسلوب الكتابة هنا يذكرنا بالنقوش الكتابية الخاصة بالسلطان قايتباى بالرغم من أن أى من المصادر المملوكية لم تذكر تحويل الرباط لمسجد حتى أن "ابن اياس" الذى عاصر الدولتين المملوكية والعثمانية لم يذكر مثل ذلك وإنما ظل ينعت المكان برباط

## المثدنة :

للجامع مثدنة مقامة على الطراز العثماني وهى تقع على نفس محور القبة فى الزاوية الغربية للمسجد ، وهى تتكون من قاعدة مربعة بارترفاع مدمالك حجرى واحد فوق سطح المسجد ثم منطقة انتقال على هيئة مثلثات منزلفة ، ثم بدن مصلع من الخارج يتكون من ١٢ ضلعا أما من الداخل فهو مستدير وقد فتح بكل ضلع من أضلاع الاتجاهات الجغرافية فتحة مستطيلة للاضاءة ، ويعلو ذلك البدن دورة محمولة على مقرنصات ذات دلايات ، وينطلق من وسط الدورة البدن الثانى وهو على شكل اسطوانى يعلوه قمة مديبة من ١٢ ضلعا ينطلق منها هلال .

## النصوص الكتابية :

يوجد بداخل الجامع نصاب انشائيان ، بالإضافة الى نص ثالث بلوحة تعلو المدخل الذى بسور الجامع الخارجى ، وهذه النصوص باللغة التركية .

أما النص الأول الذى بداخل الجامع فيقع على يسار مدخل القبة وهو مستقوس بلوحة رخامية أبعادها ١٥ X ٧م ، و هو يتكون من أربعة سطور كل سطر منها يتكون من ثلاثة بحور تفصل بينها زخارف على شكل جامات وأنصافها ، وهى كالتالى :

\* السطر الاول : جناب حضرت سلطان محمد غازى . وجود يابنى خبراته مظهرها ابتدى خدا . درون ياكته الهام ايدوب خدای جليل .

\* السطر الثانى : كايده بو جامعى رسم قدم اوزره بنا . سى بانى بيت اله ابراهيم . كه ملك مصر عد النده والى در حالا .

\* السطر الثالث : كمينه بنده سى اول بادشاه دورانك . بوكو بى ايتدى نامنه احيا . سوروب يوزين قدمى رسمنه او سلطاناه .

\* السطر الرابع : نوله شفا عنته مظهرها وله روز جزا . دعا ايدوب ديدى اتمامنه ذكى تاريخ . يرنده جامع على اساس بى همتا .

## ترجمة النص :

- ١ - حضرة جناب السلطان محمد الغازى . لأعمال الخير وجهه الله . وجه الله الجليل قلبه الحساس .
- ٢ - بنى الجامع بنفس التخطيط القديم . بانى بيتا لله هو ابراهيم والى مصر حالا .
- ٣ - هو عبد باد شاه الكون . قدم للحياه عمل فنى لتمجيد . قدم ولانه للسلطان حسب التقليد القديم .

٤ - لتكتب له الشفاعة يوم القيامة . قال ذكى عن تاريخ الانتهاء فى هذا المكان ألقينا أساس لمسجد فريد من نوعه . (١)

النص الثانى :

عبارة عن سطرين باللوحة الرخامية التى بأعلى صدر الدخلة التى فوق أثرى القدمين ونصهما كالتالى :-

١ - بو مقامى ايلدى رسم قدم او وزره جديد .

٢ - قيلسون ابراهيم باشا نيك خدا عمرن فريد .

### ترجمة النص :

١ - فى هذا المكان يظهر على سطح هذا الحجر آثار قدمين من جديد .

٢ - اللهم اجز ابراهيم باشا خير الجزاء وأفيض عليه بالمزيد من النعم والجزاء الاوفى . (٢)

النص الثالث :

هذا النص بلوحة رخامية تعلو المدخل الخارجى بالسور الجنوبى الشرقى المحيط بالجامع ، وهو يتكون من سطرين باللغة التركية نصهما :-

١ - وضع اولندى ساقية سلطان محمد نامنه . بر سبيل داخى يايلى ساقية نك يا ننه . نوش ايدوب آب صفا بخشندن تشنه لر .

٢ - ايسلونر جوق دعا اول بادشاهك شاننه . جون تمامه ايرىحك هاتف يدى تاريخنى . برثواب اولدى روا سلطان محمد ادنه سنة ١٠٧٧ هـ .

### ترجمة النص :

١ - حفر ساقية وضعت باسم السلطان محمد . وقد أنشأ سبيل بجانب الساقية عندما يشرب الانسان الماء الصافى .

(١) هذه الترجمة منشورة فى رسالة الباحث "مصطفى بركات" وهى بعنوان دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعمائر العثمانية بمدينة القاهرة ، ماجستير مخطوط ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ص ٤٨ .

(٢) هذه ترجمة الاستاذ سيد حنفى الباحث بمركز تسجيل الآثار الاسلامية .

٢ - يدعو بالمغفرة كثيرا للبشاه وقال الهاتف فى تاريخ الانتهاء هذا العمل المقدس رائع المجد للسultan محمد سنة ١٠٧٧ هـ . (١)

### ملحوظات :

- تعرض الجامع لترميم شامل تم بعد سنة ١٩١٦م وهى السنة التى تحمل تاريخ التخطيط القديم للجامع ، فهناك بعض الاختلافات بين ماهو قائم حاليا وما كان قديما منها :-
- ١ - يتضح فى الرسم القديم عدم انتظام وضع الأعمدة الأربعة وعقودها بما يتفق مع الوضع الطبيعى لها إذ أن بها بالرسم القديم انحراف .
  - ٢ - دكة المبلغ بالرسم القديم تختلف عن الدكة الموجودة حاليا ، فالقديمة أكبر وغير موقع بالرسم القديم العمود القائمة عليه .
  - ٣ - فتح ثلاثة شبابيك فقط فى جدار القبلة فى الرسم القديم وبالوضع الحالى أربعة .
  - ٤ - الجانب الشمالى الغربى وقع فى الرسم القديم ثلاث دخلات بينما مفتوح به الآن باب وأربعة شبابيك .
  - ٥ - الجانب الجنوبى الغربى لا يوجد بالرسم القديم إلا شبك واحد بين القبة والجامع بينما فتح حاليا أربعة شبابيك .
  - ٦ - الجانب الشمالى الشرقى فتح بالرسم القديم باب للدخول للجامع بينما هو يمثل شباكا حاليا .
  - ٧ - اختلاف مكان دورات المياه بين القديم والجديد .
  - ٨ - لا وجود الآن للملاحق القديمة للجامع ، وكذلك تم تغيير بعض فتحات الاسوار القديمة .

### التنزه بالرباط فى العصرين المملوكى والعثمانى :

كان لموضع الرباط على شاطئ النيل ولقربة من مدينة القسقاط وجوارا لساحلها وما حواه الرباط من آثار نسوها للرسول صلى الله عليه وسلم تأثير كبير فى اتخاذه متنزها عظيما طوال العصرين المملوكى والعثمانى ، بالاضافة لكونه استراحة ومحطة نزول للمسافرين والقادمين للصعيد . (٢)

وقد جمع الرباط المتنزهين بكافة طوائفهم ومكانتهم الاجتماعية فارناده السلاطين والخلفاء والعامه وأهل العلم والدين والأدب ، وكان الرباط فى أيام زيادة النيل يمثل موقعا فريداً وكانت أيام الفيضان

(١) ترجمة الاستاذ سيد حنفى .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ص٣٧ .

بمشابة أيام الاعياد والمواسم الجليلة<sup>(١)</sup> . وقال "المقريزى" فى ذلك . . وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ، يتردد عليه أيام كان ماء النيل تحته دائما ، فلما انحسر الماء عن تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس اليه وفيه الى اليوم بقية . .<sup>(٢)</sup> ولكن تلك المحن التى تعرضت لها القاهرة أيام المقريزى قد زال أثرها بعد ذلك وعاد الرباط ملتقى المنتزهين والمتفرجين بقية العصر المملوكى .

وفى العصر العثمانى استمر الرباط مستنزا كبيرا نظرا لما تميز به هذا العصر من انتشار للدروشة وازدياد التبرك بالأولياء والمقدسات .

وقد زار المسجد الرحالة "النابلسى" بصحبة الشيخ ابن العابدين البكرى وأثنى على المسجد وذكر القصر المجاور له فانفعل البكرى بما رآه وانشد فيه أشعارا عديدة .<sup>(٣)</sup>

### ما قيل فى الرباط :

انفعل الشعراء والأدباء برباط الآثار وما حواه من آثار فذكروا ذلك فى أشعارهم ونثرهم ، من ذلك قول الأديب صلاح الدين الصفدى :

أكرم بآثار النبى محمد  
ياعين دونك فانظرى وتمتعى  
من زاره استوفى السرور مزاره  
إن لم تريه فهذه اثاره<sup>(٤)</sup>

واقضى به جلال الدين بن خطيب داريا الدمشقى فقال : -

ياعين إن بعد الحبيب وداره  
فلقد ظفرت من الزمان بطائل  
ونأت مرابعة وشط مزاره  
ان لم تريه فهذه اثاره<sup>(٥)</sup>

(١) المقريزى ، السلوك ج٢ ص ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ابن حجر ، اتباه الغمر ج٣ ص ٢٢١ ، ٢٢٤ ، العيني ، عقد الجمعان (بدون ناشر) ص ٣٨٣ ، ابن تغرى بردى ، التنجيم ج١١ ص ٢٣٢ ، ج١٤ ص ٩٩ ، ١٠١ ، حوادث الدهور ج٣ ص ٥٤١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ص ٢ ، ١٣٦ ، ٨١٠ - ٨١١ ، ج٥ ص ١٩٢ ، النابلسى : الحقيقة والمجاز ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، الجيرتى : عجائب الآثار ج٣ ص ٤٩٢ ، ٥٧١ .

(٢) الخطط ج٢ ص ٤٢٩ .

(٣) الحقيقة والمجاز ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

(٤) المقريزى ، الخطط ج٢ ص ٤٣٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ج٢ ص ٢٧٣ .

(٥) المقريزى ، الخطط ج٢ ص ٤٢٩ ، السيوطى ، نفس المصدر والصفحة .

وقال آخر :

يأنفس إن لم تذهبي لطيبه  
ها أنت في مصر وفيها أثره  
وقال أبو الحرم المدني :

ياعين كم متسفين مدامعا  
إن كان صرف الدهر عاتك عنها  
وقال النابلسي :

طه الرسول به الفؤاد مولع  
إن فات عيني أن تراه فإنها  
وهناك اشعار عديدة في هذا الخصوص .

وترى أنوار الحبيب وداره  
فاسعى إليه وانظري اثاره (١)

شوقا لقرب المصطفى ودياره  
فتمتعى ياعين في اثاره (٢)

أكرم بيمشاه المؤثر في الحجر  
قنعت هناك بما تراه من الأثر (٣)

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٥٣ .

(٢) المقرئ ، المخطط ج٢ ص ٤٣٠ ، النابلسي ، الحقيقة والمجاز ص ٢٤٠ .

(٣) الحقيقة والمجاز ص ٢٤٠ .

\* وقد زار النابلسي هذا المكان بصحبة الشيخ زين العابدين البكري الذي أرنجل في هذه المناسبة قوله :

في يوم ربح فاكنبنا راحه

فكأننا هو قد سفانا راحه

متبركين بنوره الفياض

أنوارها كالبرق في الأيماض

يهدى القلوب لذكر عهد ماض

للزائرين وساير الأغراض

من مها يشفى من الأمراض

قدم النبي المصطفى جئنا له

فرد النابلسي على البديهة :

وامالنا عرف النسيم بطيبه

ثم قال في وصف ذلك المكان :

قدم النبي بمصر جئنا نحوه

تعلو عليه من الجلالة قبة

وعليه أسرار المهابة والبها

حصلت به كل السعادة والمنى

أثر شريف قد بدا في صخرة